عمر أبو ريشة و شاعريته

دراسة تحليلية

بحث جامعي

لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراة

إعداد وتقديم

مسعود أظهر

تحت إشراف

البروفيسور محمد أسلم الإصلاحي

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهي

2006

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

DATE: 21/07/2006

DECLARATION

I declare that the material in this Dissertation entitled **"Umar Abu Risha Wa Shaeriyyatuhu:Dirasah Tahliliyah"** (Umar Abu Risha and his Poetry: An Analytical Study) submitted by me is my original research work and has not been ever previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Masood Azhar
Research Scholar
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Prof. M.A.Islahi
(SUPERVISOR)
CAAS/SLL&CS/JNU
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Prof. F.U.Farooqi
(CHAIRPERSON)
CAAS/SLL&CS/JNU
CHAIRPERSON
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

	الصفحة
المقدمة	3
الباب الأول :الشعر في سورية	11
الباب الثاني:	26
الفصل الأول:عمر أبو ريشة:شاعريته و شخصيته	27
الفصل الثاني:حبه و تعلقه بالهند	43
الباب الثالث:الصبغة الرومانسية في شاعرية عمر أبي ريشة	53
الباب الرابع:	75
الفصل الأول:التعريف بالقومية العربية و أسسها	76
الفصل الثاني:الاتجاه القومي والوطني في شاعرية عمر أبي ريشة	84
الخاتمة	98
المصادر والمراجع	101

المقدمة

المقدمة

إن شعراء العرب من المتقدمين و المتاخرين و المحدثين جميعا لم تنقصهم الشاعرية فامتازوا منذ القدم من سائر الأمم بالعكوف على الأدب و الشعر و لذا يقال حقا إنهم فرسان هذا الميدان وأن شعرهم ديوان أعمالهم البطولية ووقائعهم التاريخية والاجتماعية والسياسية والمعاشية ولا شك في أن العرب أمة شاعرة، انتشرت الشاعرية بينهم و غلبت عليهم و خالط الشعر حياتهم و أصبح الشاعر بينهم صاحب المقام الأعلى فيَ إثارة الحروب و إطفاء الفتن و التنويه بمفاخر القبيلة فأنتجت لهم هذه الحياة الخاصة من الشعر ما لا تتفوق فيه عليهم أمة من الأمم وهذا الأمر قد حدا بنا إلى الادّعاء أن الشعر سفر تاريخ هذه الأمة و محضر أفكارها.

ولشاعرية العرب عوامل كثيرة و منها: البيئة الطبيعية حيث يوجد فيها الجمال و الانفساح و صفاء الشمس التي لها أثر كبير في تفتيق الأذهان وتزكية النفوس ولا شك أن العرب قوم أذكياء، سريعوا البديهه، مرهفوا الحس، يؤثرفيهم الجمال و يخلب الحسن عقولهم ولم يكن لهم فن جميل يعبرون من خلاله عن أحلامهم و أمنياتهم و يتسلون به في وحدتهم ما عدا الشعر فلا غرو إذن إن كان الشعر موضع اهتمام لكافة العرب وكان للشاعر عند العرب ميزة يتفوق بها على غيره وكانت تفتخر به قبيلته والقبيلة التي ليس لها شاعر كانت تحاول أن يبرز من أبنائها من يعلي شأنها و يرفع ذكرها و على أساس هذه الميزة و الأهمية و المكانة استطاع الشاعر أن يأتي بما تعتز به قبيلته و قومه وبالإجمال كان دور الشاعر فيها كبيرا و طليعيا و لا يستطيع أحد أن ينكر أن اللغة العربية حافلة و زاخرة بالشعرمنذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث و قد عرف من العرب

كثيرون من المجيدين اللذين ينم شعرهم عن طبائع شعرية حقيقية فشعراء الجاهلية ومن تبعهم من شعراء الأجيال التالية كلهم شعراء تفيض قرائحهم بتلك القوة التي نسميها "الشاعرية" ومع هذا كله فإن الفترة من الخمود التي سادت الأدب العربي شعرا و نثرا جعلت المجالات ضيقة محدودة وهذه الفترة استهلت بعد الخلافة العباسية و استمرت حتى بداية العصر الحديث لأن في الشعر العربي خلال هذه الفترة لم ينبغ إلا قليل من الشعراء ولم يكن مستوى شعرهم مثل الشعر العربي في العصور السابقة.

ولذلك اعتبر المؤلفون و الكتاب هذه الفترة أي عصر المماليك و أيام العثمانيين،عهد الانحطاط أو الركود في اللغة العربية بل في كل شأن من شؤون العرب الثقافية و الاجتماعية و السياسية ولا شك أن الأدب العربي بلغ في هذه الفترة إلى أبعد حدٍ من الضعف والاضمحلال لأن البلاد العربية كانت خالية من العلوم الحديثة واللغة العربية تخلفت عن متابعة العلم والمعرفة حتى انبثق فجر النهضة الحديثة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عندما رسخت بواخر القوات الفرنسية بقيادة نابليون في مصر سنة 1798م وجاءت الحملة الفرنسية تحمل معها إلى جانب عدتها العسكرية – مطبعة و علماء فرنسيين فعمت اليقظة و بدأت الحياة تنمو و تتطور في كل مجال من مجالاتها و التقت الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية العربية.

ويعد محمود سامي البارودي رائد الشعر العربي الحديث الذي بعث الشعر العربي من سباته و خلع عنه ثيابه البالية من البديع و غير البديع و رد إليه الحياة و النشاط .

أما البلاد السورية فقد تسربت إليها العلوم العصرية والمدنية الجديدة في القرن التاسع عشر،حين فتح فيها النصارى الذين عرفوا فيما بعد بالمبشرين مدارسهم على يد البعثات التبشيرية الغربية ومنها أوروبية و أمريكية وإن كثرة السكان المسيحيين في سوريا قد يسرت لهذه البعثات التبسط فيها كما أنها ذللت للكثيرين من السوريين الرحلات إلى ديار الغرب ليأخذوا العلوم الحديثة من مناهلها الأصلية.

و عندما ننظر إلي الشعر العربي وخاصة إلى الشعر العربي القديم نجد أن شعراء العربية أميل إلى المحافظة على الأساليب القديمة فقلما نرى تغيرا في الأسلوب الشعري القديم إلا ما أدخله أهل الأندلس من الموشحات و الزجل، وبعد ذلك حاول شعراء العرب في العصر الحديث إدخال الفنون الحديثة في الشعر العربي فبدأوا يبنون على أساس الأوزان القديمة هياكل شعرية جميلة لكي تشبه ما عند الأفرنج من الشعروفي نفس الوقت حافظواعلى موسيقى الأبحر العربية.

وأنشئت جمعيات أدبية وشعرية مثل"حركة الديوان" و"حركة أبولو" في العصر الحديث وقد تأثر أصحاب الديوان بالمدرسة الرومانسية في أوربا تأثرا بالغا و دعوا للتجديد وأظهروا مللهم من طوق التقليد و دعوا إلى أن يكون الشعر تعبيرا عن الذات وأن تكون للشاعر شخصية مستقلة وأن يعلن حرية الشعور والشعر وأن يقولوا بوحى نفوسهم و إلهام حرياتهم لا بوحي الأقدمين و إلهامهم و فظهرت النزعة الرومانسة في شعر "مدرسة الديوان" فكانت نتيجة ذلك أن اتسعت ثقافتهم المتصلة بالشعر الأوروبي و حاولت هذه الحركة أن تمنح الشعر العربي مذاقا جديدا كما

اهتمت بالمضمون و عنيت به و حاولت أن تتناول في شعرها الموضوعات التي لم يألفها الشعر العربي السابق .

وعلى هذا النحو حاول أصحاب حركة أبولو أن يترجموا إلى العربية أعمال كبار الشعراء من الغرب و يوضحوا مذاهبهم الأدبية ونزعاتهم الشعرية فحاولوا إدخال المذاهب الفرنسية إلى اللغة العربية مثل الروماسية و الرمزية و الواقعية فلهم الفضل في إيضاحها و التعريف بها لا فيما نظموه فقط بل فيما كتبوه من مقالات حولها في مجلتهم التي كانت تصدرها هذه المدرسة.

وعلى أية حال يجب على الشاعر العربي الحديث أن يدرس الشعر القديم درسا وافيا و يتابع مجاريه التاريخية ليطلع على استعمال الأوزان الشعرية المتينة فلا يجوز له إغماض عينيه عن رؤية جمال الطبيعة الجذاب و عن تقدم الأمم في سبيل العمران وكذلك لا يجوز له أن يصم أذنيه عن سماع الألحان العميقة التي تصل إلى أذن الشاعر الحقيقي من وراء الطبيعة لأن الشعر العربي اليوم يحتاج إلى أفكار سامية ولذلك يجب عليه أن يدرس مع الشعر القديم آداب الأمم الراقية و يتابع مسير الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية .

في هذه الخلفية عندما نمعن في شاعرية الشاعر السوري عمر أبي ريشة نصل إلى النتيجة أن شاعريته جديدة ولكن مع الحفاظ على القواعد اللفظية و النحوية والعروضية ولذلك كان تجديده مقبولا و مقدرا حق التقدير إذ أنه في الحقيقة تجديد يحافظ على اللغة العربية الخالصة و التعبير الصحيح ولا شك في أن كمال المبادئ الأدبية أن يرى الإنسان الحقيقة و

يصورها كما يراها هذا هو الشعر و ذلك هو الشاعر و نجد هذه الصورة بوضوح في أبيات عمر أبي ريشة .

ولا يحاول عمر التجديد بغير عذر فرارا من قواعد اللغة فقد استعمل في قصائده "الصورة الشعرية" واعتمد عليها فسمت به وذلك لأنه كان موفقا في رسمها، الرسم الذي يقبله الفكر ولا يضيق به الخيال فهو عميق النظر إلى الصور، ألفاظه عادية لأنه لا يسعى وراء اللفظ ولكنه يسعى وراء الصور ولذلك تعابيره جديدة تنطق حسا وتنطق شعورا فإذا اجتمعت الكلمات مع التعابير الجميلة تتحول الصورة الشعرية إلى أسلوب جذاب.

اشتهرعمر أبو ريشة بأعماله الرومانسية و القومية والوطنية الجريئة وغلب على شاعريته هذان الجانبان هناك أسباب وراء هذا كله أما الرومانسية فإنه تأثر بها عندما أرسله والده إلى إنكلترا لدراسة علم الكيمياء الصباغية ولكنه لم يتخذ من هذا العلم صناعة أو مهنة بل هجره واقتنص الفرصة هناك لمطالعة الأدب الإنكليزي إلى جوار الأدب العربي و أعجب ببعض الشعراء الغربيين مثل شيلي و كيتس و بو و بودلير وغيرهم و هؤلاء هم الشعراء المفضلون عنده ربما استفاد عمر من دراسته الكيمياء الصباغية وأصبح قادرا على صبغ الكلمات صباغة شعرية لتتخذ لها ألوانا براقة متنوعة بما لا عهد للشعر العربي الحديث به.

وفيما يتعلق بالجانب القومي و الوطني في شاعريته فسبب ذلك أنه قد شب وبلاده سورية في نضال مع العثمانيين و الفرنسيين واشترك في الحركة الوطنية في سوريا أيام الاحتلال و سجن عدة مرات وأراد أن يقتلع الاضطهاد الفرنسي من جذوره وكذلك نجد لقضية فلسطين أثرا كبيرا في أفكار عمر أبي ريشة فاتجه بشعره الوطني إلى تصوير كفاح الفلسطينيين و

كان عمرأبو ريشة يؤمن بوحدة الوطن العربي كله و ينفعل بأحداث الأمة العربية وهو الداعي إلى الاتحاد و الوئام ومن هنا نلاحظ أنه تأثر تأثرا بالغا بكارثة فلسطين و نظم في نكبة فلسطين قصائد عديدة وأراد بشعره تصوير كفاح الشعب السوري فقرض في كل مناسبة قومية قصيدة جذبت أنظار الناس إليها فسرعان ما أصبح عمر أبو ريشة ترجمان العاطفة الوطنية وهو حقا ناظم الحوادث و الوقائع العربية.

وفي هذا البحث المتواضع حاولت أن أقدم أمام القراء شخصية عمر أبي ريشة و شاعريته و لأجل هذا الغرض قسّمت هذه الرسالة إلى مقدمة و أربعة أبواب بالإضافة إلى الخاتمة.

أما الباب الأول فتناولت فيه الشعر و تاريخه في سورية.

فيما يتعلق بالباب الثاني فهو يشتمل على فصلين وتناولت في الفصل الأول شخصية الشاعر وشاعريته و آثاره أما في الفصل الثاني فتناولت فيه حبه للهند وآثارها الخالدة .

وفي الباب الثالث قمت بتحليل الصبغة الرومانسية في شاعرية عمر أبي ريشة.

أما الباب الرابع فهو منقسم إلى فصلين الفصل الأول يشتمل على التعريف بالقومية العربية وأسسها وأما الفصل الثاني والأخير فهو يتضمن دراسة عميقة للعناصر القومية والوطنية في شاعرية عمر أبي ريشة.

وحري بنا أن نعترف في هذا المكان بأن الموضوع الذيْ تناولته للبحث هو موضوع طويل ومن هنا لم استطع أن اكون موفقا تماما في مقتضيات هذا البحث وأكبر السبب في هذا الخصوص هو محدودية الامكانيات للحصول على المصادر و المراجع المتعلقة بهذا الموضوع ومع

أن هذه المراجع متوفرة في مكتبات الدول العربية ولكني لم اتمكن من الحصول عليها لأسباب عديدة وعلى أية حال فإنما هذه هي بداية جهدي المتواضع للبحث عن هذا الموضوع.

وختاما أود أن اقول بأنني لا امتلك كلمات كافية للتعبير عن عواطف الشكر والامتنان للأستاذ المشرف محمد أسلم الإصلاحي الذي أفادني مرات و كرات بآرائه القيمة و توجيهاته الصائبة وبدون مساعدته لم يكن بإمكاني أن أكمل هذه الرسالة.

فأدعو الله سبحانه و تعالى أن يمتعه بدوام الصحة و العافية ويتيح لنا فرصة طويلة للاستفادة من علمه و خبراته وفي نفس الوقت اتقدم بالشكر والامتنان إلى كل من ساعدنوني في إعداد هذه الرسالة وأخص بالذكرمنهم الأخ ابرار الحق والأخ معراج أحمد والموظفين في مكتبة آزاد بهوان و مكتبة الجامعة الملية الإسلامية و مكتبة جامعة دلهي إذ أن هؤلاء جميعا مدّوا إلي يد العون والمساعدة في إنجاز هذا العمل الأكاديمي.

وما توفيقي إلا بالله وعليه التكلان

مسعود اظهر

131، لوهت هوستل

جامعة جواهر لال نهرو

دلهي الجديدة

الباب الأول

الشعر في سورية

الشعر في سورية

قبل أن نتحدث عن الشعر العربي المعاصر في سورية نرى مناسبا أن نصف القطر الذي ظهر فيه هذا الشعر و نصور الأحداث التي وقعت فيه في القرن العشرين والحال التي عاش فيها أهل هذا البلد فالشاعر كما يقال هو إبن البيئة والظروف والأحداث، تؤثر فيه الطبيعة وهو أيضا يتأثر بالتاريخ و التيارات الاجتماعية والسياسية و الأدبية وما إليها فلا بدّ من الإلمام بهذه الجوانب كلها.

سورية

تقع الجمهورية العربية السورية بوجود الأردن جنوبا و فلسطين و المتوسط غربا و تركيا شمالا و العراق شرقا و مساحتها 180-185 ألف كليلومترمربع و سكانها 13-17 مليون نسمة حسب إحصاء 2002م.[1] استوطن الإنسان هذا البقعة من العالم منذ الأزمان الغابرة التليدة ليس فقط لموقعه الجغرافي و إنما لتربته الخصبة ومناخه الرائع أيضا لذلك كان وصف الطبيعة من أهم موضوعات الشعراء في هذا القطر وكما تغنى الصنوبري بإقليم الشام قائلا:

ان كان في الصيف ريحان و فاكهة فالأرض مستوقد و الجو تنور
وان يكن في الخريف المحل مخترقا فالأرض محصورة والجو مأسور
وان يكن في السماء الغيم متصلا فالأرض عريانة و الجو مقرور

---

(1) دمشق لوحة الفسيفساء الساحرة للسيدة سادهنا و داينيشوار، ص 103

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا جاء الربيع اتاك النوّر و النور
فالأرض ياقوتة و الجو لؤلؤة والنبت فيروزج و الماء بلور [2]

و فضل الصنوبري دمشق على الدنيا حيث يقول:

صفت دنيا دمشق لمصطفيها فلست أريد غير دمشق دنيا [3]

شهدت سورية إمبراطوريات متعددة من الفينيقيين القدماء إلى الرومان فالبيزنطيين ثم العثمانيين كأن الاستحواذ على سورية كان أمرا أساسيا لأي قوة تطمح للتحكم بمفاصل التاريخ سواء في دمشق أو حلب في اللاذقية أو دير الزور وجدير بالذكر أن عاصمة سورية دمشق فخورة بكونها أقدم عاصمة قديمة حية باستمرار وحلب هي مدينة أخرى ذات عراقة عظيمة لا تزال تستمد عظمتها من مياه نهر الفرات الأسطوري إنها مدينة ساحرة من دون شك.

إن السوريين فخورون بلغتهم و تاريخهم و ثقافتهم واللغة العربية هي وسيلة التعليم لكل المستويات ولكن الكثير من الناس أيضا يتحدثون الإنكليزية و الفرنسية.

الشعر في سورية

قصة الشعر في سورية ليست قصة جديدة و حديثة فإن سورية و الأحرى بنا أن نقول بلاد الشام كانت تشكل في الزمن الماضي منطقة

---

(2) الشعراء الأعلام في سورية للدكتور سامي الدهان،ص 17

(3) المرجع السابق،ص 18

واسعة تشمل سورية الحالية والأردن و لبنان و فلسطين وهذه المنطقة كلها معروفة منذ القدم بطبعها الشعري و روحها الأدبي وجمالها الفطري و لا شك في أن بلاد الشام هي بلاد الشعر والسحر والجمال وبلاد الحب و العشق و الغرام، الحب للطبيعة و العشق للفطرة والغرام بالفن والهيام بالشعر والأدب.

فليس من العجب إذا نرى كل من خطا خطوة نحوهذه البلاد مندهشا من مناظرها الجميلة الساحرة وبخضرة غوطتيها الشرقية والغربية الممتدة إلى أراض خصبة واسعة تقر العيون وتثلج الأفئدة و تبهج القلوب فالإنسان يحب أن يقضى حياته كلها في بساتينها المثمرة وحدائقها الغنّاء و منتزهاتها الخلابة ومزارعها المثرية الغنية ومصايفها المريحة الممتعة الخصبة.

إن السوريين فخورون بهديتهم الثقافية والعرقية والدينية المتعددة بصورة عامة ولهم صفات روحية مشتركة ورثوها عن طبيعة أرضهم و جوهم والأحداث التي مرت بهم والنهضة الاجتماعية التي هزتهم.

وفيما يتعلق بشعب بلاد الشام فهو شعب محب، ودود، لبق حلو الشمائل إلى أبعد الحدود، مضياف، مرح فرح، فخور، قانع، آمن يعطف على أبنائه وغربائه على السواء متعاون ، متناصر، متعاضد مع كل من يمد إليهم يده ليتلقى العون والمساعدة وبتعبير آخر كأنهم يعملون حسب ما جاء في الحديث النبوي الشريف ومعناه انّ الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

هذه هي الأجواء الهنيئة الرغيده التي أطلقت الألسن والعقول و فتحت القرائح والقلوب فازدهرالشعر و تطور الأدب فكان الجمال وكان الفن ومن غابر الزمن تغنت سورية بشعر سار به الركبان واهتز به الرجال و النسوان و ابتهجت به الجبال و الأنهار و الوديان.

أنشد حسان بن ثابت في مدح الشاميين قائلا:

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول

يسقون من ورد البريص عليهم بردي يصفق بالرحيق السلسل [4]

رغما من هذا كله لم نقف على الشعر و دواوينه في بلاد الشام قبل نزوح المسلمين إليها وإن وجدت فقطوف لا نستطيع أن نقيس عليها شعرها وأدبها قبل بزوغ الإسلام الشاعر الجاهلي امرؤ القيس قد مر بها و أقام فيها و تغنى في ربوعها و عندما تحولت الخلافة إلى دمشق فالتف الشعراء حول بلاط الخلافة كالأخطل و جرير و الفرزدق ولهم جولات و صولات و نقائض في ميادين الشعر،لسنا بصدد ذكراها، وقد أنجبت سورية و بلدها الصغير "المنبج" أبا عبادة البحتري في العصر العباسي الذي أعطى قطره (الشام) فضيلة على غيرها فهو يقول:

عنيت بشرق الأرض قدما و غربها أطوف في آفاقها و أسيرها

فلم أر مثل الشام دار اقامة لراح أغاديها وكأس أديرها

مصحة أبدان ونزهة أعين ولهو نفوس دائم و سرورها

---

(4) ثقافة الهند ، المجلد 47 العدد 1-4 سنة 1996م، ص 87

مقدسة جاد الربيع بلادها ففي كل أرض روضة و غديرها [5]

وأقام البحتري في دمشق فرسم ألواحا كذلك لجمالها ولفتنة قُراها فقال:

يميس السحاب على أجبالها فرقا ويصبح النبت في صحرائها بددا

فلست تبصر إلا واكفا خضلا أو يانعا خضرا أو طائرا غردا [6]

وتغنى بجمال دمشق أحمد شوقي فقال:

آمنت بالله و استثنيت جنة دمشق روح و ريحان و جنات [7]

والمنبج نفسه قدمت للدنيا المعاصرة شاعرين عظيمين يحتلان مكانة مرموقة في عالم الشعر وهما عمر أبو ريشة ومحمد منلا غزيل وفي هذا السياق يجب أن لا ننسى أبا فراس الحمداني شاعر بلاط سيف الدولة الحمداني وابن عمه و نغمات أبي الطيب المتنبي في حلب الشهباء.

الشعر الحديث في سورية

نريد أن نقدم هنا استعراضا موجزا للشعر العربي الحديث بمختلف مراحله في سورية بخاصة سورية الحالية التي هي أصبحت دولة صغيرة بعد الانقسام و التجزى وبعد الحصول على الاستقلال من الاستعمار الفرنسي عام 1946م ويمكن أن نوزع هذا العصر بين مائة سنة أو يزيد كما وزعه الأستاذ سامي الكيالي بما يلي:[8]

---

(5) الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام للكدتور جميل صليبا، ص 18

(6) الشعراء الأعلام في سوريا للدكتور سامي الدهان، ص 18

(7) ثقافة الهند ، المجلد 47 العدد 1-4 سنة 1996م، ص 87

(8) نقلا عن مجلة ثقافة الهند ، المجلد 47 العدد 1-4 سنة 1996م، ص 88

1- الغيبوبة

2- فجر الإصلاح

3- بدء اليقظة

4- التفتح والانطلاق

أما الغيبوبة فكانت نتيجة طبيعية لعصر الانحطاط والتخلف الذي مني به العالم الإسلامي كله بعد سقوط بغداد ولم يوقظه من سباته الطويل إلا مدافع الأفرنج وقذائف الاستعمار وأنقراض الخلافة الإسلامية وعهدئذ طلع فجرالإصلاح فأيقظ الناس رجال عاهدوالله أن يعودوا بأبناء جلدتهم إلى ماضيهم المشرق مثل جمال الدين الأفغاني وتلميذه البار الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الحميد بن باديس و الأمير طاهر الجزائري ومحمد بن عبد الوهاب والأسرة العلمية الدينية المرتبطة بعتبة الإمام ولي الله الدهلوي وأمثالهم كثيرون.

وبعد ذلك جاءت مرحلة اليقظة والتفتح والانطلاق نحو العلم والأدب والشعر والدين والدعوة والفكر.

حتى بداية القرن العشرين كانت سورية تعيش في ظل حكم الخلافة العثمانية وشهدت هذه الفترة ما شهدت من الانحطاط و التعطل على سائر الأصعدة الأدبية فلم تكن في بلاد الشام في تلك الفترة أى مدرسة ولا معهد ولا جامعة ولا مؤسسة علمية والمسلمون لا يجدون أمامهم إلا بعض الكتاتيب الدينية والمدارس الرسمية التي كانت تعلم اللغة العربية باللغة التركية وكانت الحياة العلمية والأدبية خامدة و بطيئة السير.

ولم يبدأ عصرالنهضة في بلاد الشام إلا في العقد الثالث من القرن التاسع عشر[9] بفضل النصارى الغرب الذين نزلوا إلى هذه البقعة من الأرض في زي المبشرين و قاموا بإنشاء بعض المدارس التي فتحت أبوابها أمام الأسر الميسحية فالدراسة في هذه المدارس كانت حكرا على المسيحيين ولم يكن للمسلمين منه حظ يعبأ به ولكن هؤلاء النصارى حرصوا على استمالة الشاميين إلى مدارسهم بحيث أنهم استخدموا اللغة العربية وسيلة للتدريس وكان الأدب العربي مما يدرس في تلك المدارس فإن بعضا من أبناء المسلمين قد لحقوا بتلك المدارس وقد أصبحت هذه المدارس الميسحية في زمن الحكم العثماني أكثر عناية باللغة العربية من المدارس الرسمية ولأن المدارس الرسمية والكتاتيب الدينية كانت تعلم اللغة العربية باللغة التركية وذلك لأن اللغة التركية كانت حينذاك لغة رسمية للدولة ولاجل هذا كله انتشرت دراسة اللغة العربية بين الميسحيين قبل المسلمين ومن هنا كان معظم الكتاب والمؤلفين والخطباء والشعراء الشاميين في العهد العثماني من المسيحيين.[10]

خلال الحرب العالمية الأولى عام 1914م خاضت جيوش الخلافة العثمانية الحرب إلى جانب الألمان و في 1 تشرين الأول 1918م وصل لورنس العرب –الذي قد تمرد ضد الأتراك –إلى دمشق مع قوات الأمير

---

(9) الشعر والشعراء في الأدب العربي الحديث للدكتور أيوب تاج الدين الندوي، ص 11

(10)الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام للدكتور جميل صليبا، ص 65

فيصل ابن الشريف حسين، شريف مكة، وفي تشرين الثاني من ذلك العام غادر آخر الجنود العثمانيين سورية وأسست حكومة برلمانية في دمشق عام 1918م برئاسة الملك فيصل ابن الحسين.[11]

وأصبحت اللغة العربية لغة رسمية للبلاد وشعرت طائفة من المثقفين بضرورة تأسيس "المجمع العلمي العربي" للحفاظ على تراث اللغة العربية وتطويرها وبذلت جهودا مخلصة في مجال التربية والتعليم .

والواقع أن الشعر العربي الحديث في سورية لم يبرز في صورة حديثة ناضجة حيوية له أصالة و ذاتية إلا بعد أن طلع فجر القرن العشرين وبعد أن عمت الفكرة الأدبية بفضل جهود عمداء الشعر والأدب التى ظهرت في "دارالكتب الظاهرية" و"المجمع العلمي العربي" الذي كان بأول الأمر شعبة للترجمة والتاليف أسست إثر تأليف الحكومة العربية ثم حولت هذه الشعبة إلى "ديوان المعارف" وكان غاية المجمع العلمي العربي هو البحث في العلوم الحديثة والقديمة وإحياء تراث العرب في العلوم والآداب والبحث في علوم اللغة العربية والحرص على سلامتها في زمن تتسع فيه العلوم و الفنون والمخترعات الحديثة وقد عين الأستاذ محمد كرد علي رئيسا لها في 12 شباط 1919م و فوض إليه الإشراف على أمور المعارف وتأسيس "دارالآثار" والعناية بالمكتبات و بالأخص "دار الكتب الظاهرية " وانقلب هذا الديوان بأعضائه الثمانية و رئيسه إلي "مجمع

---

(11) دمشق لوحة الفسيفساء الساحرة السيدة سادهنا و داينيشوار، ص 34 -35

علمي" في 8 حزيران عام 1919م و عاهد على أن ينظر في إصلاح اللغة ووضع ألفاظ للمستحدثات العصرية و تنقيح الكتب وإحياء المهم مما خلّف الأسلاف والتنشيط على التأليف والتعريب وكان بجنب هؤلاء بعض العلماء البارزين في العلم والدين والشعر والأدب يوقدون مشاعل الشعر والأدب كأمثال سليم الجندي وعبد القادر المبارك وجمال الدين القاسمي الذين لهم نصيب أوفر في القفزة الأدبية والشعرية في سورية لا يجحد ولا ينكر.[12]

كان إسهام محمد كرد علي الذي عمل على تأسيس المجمع العلمي إسهاما بارزا في نشر اللغة العربية في تلك الفترة غير أن حكومة فيصل ابن الحسين لم تدم طويلا وفي عام 1919م دخلت قوات الاحتلال الفرنسية دمشق عاصمة سورية واضطر الملك فيصل أن يغادر دمشق إلى فلسطين وهذا ما أدى إلى مظاهرات و ثورات في جميع أنحاء البلاد وقسمتها إلى عدة أجزاء و تم تقسيم سورية إلى أربع مناطق بين بريطانية وفرنسا حيث أخضعت سورية و لبنان الحالية للانتداب الفرنسي بينما أخضعت فلسطين والأردن للانتداب البريطاني و نودي بالملك فيصل ملكا على العراق وقسم الفرنسيون سورية إلى أقاليم أو ولايات منفصلة شملت حلب و دمشق واللاذقية وحوران ثم أتبعت حلب لاحقا بالدولة السورية وفي عام 1945م

---

(12) ثقافة الهند ، المجلد 47 العدد 1-4 سنة 1996م، ص 89-90

سلمت السلطة إلى حكومة سورية وفي 17 نيسان 1946م تم جلاء آخر جندي أجنبي عن أرض سورية.

كانت تلك الحقبة من الزمن بدون شك فترة مظلمة من كل ناحية فهزت الأحداث السابقة الذكرمشاعر الشعراء الذين عبروا عن أحاسيسهم وأحاسيس قومهم في شكل قصائد قومية اصطبغت بصبغة وطنية ومن هؤلاء الشعراء الذين سجلوا عواطفهم في شكل قصائد قومية شفيق جبري و خير الدين الزركلي و خليل مردم و بدوي الجبل وعمر أبو ريشة وغيرهم.

وكان الأدب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ينمو و يتطور داخل إطار ضيق وكان الأدباء والشعراء يكتبون حول موضوعات محدودة وكان الأدب حتى نهاية الحرب العالمية الأولى كرجل مريض مرتعش الأنفاس.

يصف شاعر سوري وواضع كلمات النشيد الوطني السيد خليل مردم بك أدب تلك الفترة بكلماته التالية:

> "أدبنا اليوم أشبه بمريض الحت عليه العلل والأمراض حتى أمضته أماعلاجه فهو لا يعدو أحد قسمين: تعهد جسمه الناحل الضاوي بالتقوية—ونفى الأوضاع التي علقت ببدنه فعلى من يتصدى لمعالجته أن يكون بانيا و هادما و طبيبا و جزارا".[13]

---

(13) الأدب العربي الحديث للأستاذ أنور الجندي،ص 336-337

وجدير بالذكر أن خليل مردم بك دعا نخبة من الأدباء والشعراء إلى منزله حيث أسسوا جمعية الرابطة العربية كانت غايتها تعزيز الأدب العربي وبث روح نشيطة في جسمه وصدرت مجلة الرابطة الأدبية أيلول 1921م وكان رييس تحريرها خليل مردم ولكن السلطة الفرنسية قد أغلقت هذه المجلة بعد تسعة شهور.[14]

وشهدت بلاد سورية خلال الفترات التي مرت بين الحربين العالميتين نموا و تطورا ملموسا في الأدب و الشعر بحيث أصبح كلاهما يعالج الحياة بمختلف مجالاتها فأخذ الشعراء يطالعون الأدب الغربي و تأثروا به إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة و لعبت عملية الترجمة دورا بارزا في تطوير الأدب و أثرت في تفكير الأدباء فسافر بعضهم إلى البلدان الغربية وقضوا هناك فترة من حياتهم و استفادوا من آداب الغرب فيها و تأثروا بحميع الثقافات الغربية و اكتشف هؤلاء الأدباء والشعراء مدرسة جديدة في الفكر والأدب تولى عنايتها الكبرى للشعب و طبقاته المحرومة فظهرت بوادر الانقلاب الحديث في الشعر و تغير مفهوم الأدب في الشكل و المضمون في آن واحد.

وقد كانت للحركة الإسلامية في العالم العربي كله مساهمة كبيرة فعالة في اليقظة و التنوير وإنعاش الأدب والشعر كما نرى في نماذج شعرية لبعض الشعراء الفطاحل مثل الأستاذ محمد محمود الحسناوي و عمر بهاء

(14) المرجع السابق ،ص 336-337

Jawaharlal Nehru University Library

الأميري وأما الشعراء اللذين ذاع صيتهم و كافحوا و ناضلوا و ساهموا في إنهاض الشعر والأدب والثقافة فاخص بالذكرمنهم خير الدين الزركلي، خليل مردم بك، محمد البزم، بدوي الجبل ، شفيق جبري، رفيق فاخوري،بدر الدين الحامد،نزار قباني و عمر أبو ريشة وأمثالهم كثيرون.

خصائص الشعر السوري قبل الاستقلال

كانت الأحداث السياسية والاجتماعية والادبية في الشام أبرز مصدر لإلهام الشعراء وانفعالاتهم ولا ريب في أن الشام كانت منذ فجر النهضة العربية مجالا حيويا تفاعلت فيه الأصوات تفاعلا ضخما جبارا فقد شاهدت سورية زمن الخلافة العثمانية و عاشت تحت ظل حكومة إسلامية ولكن عندما قضى الغرب على الخلافة بمساعدة بعض العرب و المسيحيين في سورية سقطت هذه المنطقة في براثن الفرنسيين و كانت نتيجة ذلك ان الثورات قد قامت متتالية وهذه الثورات لم تتوقف و شهدت هذه المنطقة معارك دامية و ثورات مختلفة من جبل الدروز إلى الغوطة و قلمون و جبل الزواية و حماة وحمص و حلب.

واشترك شعب هذه المناطق في ثورتين كبيرتين عام 1925م وعام 1946م بالتوالي و كذلك شارك في معارك فلسطين و مقاومتها على طوال هذه الفترة فهو بذلك قد عاش التاريخ القومي العربي كله وتأثر به فلا يخلو ديوان شاعر معاصر شاهد هذه الأحداث من وصف الظلم الذي صبه الأجانب على العرب وعلى كل من سعى إلى الحرية ولا شك في أن هذا

التيار الجارف في تمجيد القومية العربية كان من أقوى التيارات في الشعر المعاصر لسورية .

إن هؤلاء الشعراء في البداية كانوا قد حاولوا التغني بوحدة الأتراك والعرب على صعيد الدين ولكنهم بإيعاز من المستعمرين الغرب سرعان ما احتسبوا أن الأتراك انحرفوا عن العروبة وانحرفوا عن الدين أيضا ولذلك آمالهم في الوحدة بين العرب والأتراك قد باءت بالفشل حتى صار أكبر المنادين بحبهم أشد النقمة عليهم وكانت تلك الأحداث التى مرت بالبلاد العربية كفيلة لتغذية الشعر القومي.

وصدق الدكتورجميل صليبا حينما قال:

> "إن شعر سورية كان قوميا فلما تحررت بلاد الشام تحول الشعر من الحماسة القومية إلى تصوير الحياة وقد سار الشعر الاجتماعي بجوار الشعر الوطني يطالب بالحرية للمرأة".[15]

وجماع القول أن الشعر السوري حمل الدعوة إلى الثورة و الاستقلال ومقاومة الاستعمار .

---

(15) الأدب العربي الحديث للدكتور انور الجندي ،ص 347

خصائص الشعر السوري بعد الاستقلال و بعد نموّ الرخاء الاقتصادي

سورية الآن هي في طور الانفتاح، الإذاعات الخاصة و المجلات الخاصة والجامعات الخاصة والمصارف الخاصة قد بدأت بالعمل، بيئتها الاستثمارية آخذة بالتحسن وروابطها مع بقية بلدان العالم يجري تعزيزها.

إن الشعر الذي نظمه شعراء سورية بعد نمو الحياة الاقتصادية هو متعدد الجوانب و مختلف الألوان والاتجاهات في حين أن الشعر الذي نظموه قبل نمو حياتهم الاقتصادي كان مقصورا على الناحية القومية أو الاجتماعية بوجه عام.

والشعر القومي الذي نظمه الشاميون في أوائل القرن العشرين لم يبق منه بعد عهد الاستقلال شيئ يذكر،فلم نسمع بعد نكبة فلسطين شعرا قوميا كالشعر الذي سمعناه في ثورة الحسين أو في يوم "ميسلون" أو في ثورة 1925م بل الشعر الذي كثر في أيامنا هذه هو الشعر الفني الذي يصور الطبيعة أو يصور النفس الإنسانية في قوتها و ضعفها أو يصور مباهج الحياة ولذاتها وسببه أيضا حصول بلاد الشام على استقلالها فلم يبق هناك حاجة إلى الحماسة القومية في سبيل الحصول على الاستقلال.[16]

في الحقبة الأخيرة أنتج شعراء الشام شعرا جمع مع جمال الفن قوة التصوير ومع روعة الأسلوب دقة التعبير ومن هؤلاء الشعراء أخص

---

(16) الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام للدكتورجميل صليبا،ص 60

بالذكر بشاره الخوري ، و خليل مردم بك ، و شفيق جبري ، و خير الدين الزركلي ، و إلياس أبو شبكة ، و فوزي المعلوف ، و شفيق المعلوف ، و الشاعر القروي و عمر أبو ريشة وغيرهم الذين يصورون حياتنا الحديثة أحسن تصوير.

الباب الثاني

الفصل الأول:

عمر أبو ريشة ـ حياته و شخصيته

الفصل الثاني:

حبه و تعلقه بالهند

الفصل الأول

عمر أبو ريشة ـ حياته و شخصيته

أنجبت بلاد سورية عددا من الشعراء المعروفين الذين لمع أسماؤهم على أفق الشعر والأدب وفي طليعتهم بدون شك شخصية عمر أبي ريشة، شاعر السحر و الجمال أو شاعر الشباب السوري كما كانت تنعته الصحافة السورية [1] يرتبط إسمه ارتباطا وثيقا بالشعر السوري الحديث، عرف بوقدة الحس و دفق العاطفة و جموح الخيال ووفرة التلاوين فهو يتبوأ مكانة رفيعة مرموقة في مجال الشعر الرومانسي و الشعر القومي إذ تتجسد فيه الروح الملوكية و الاعتزاز بالنفس و الافتخار بتراثه التليد والانتفاع من الجديد الطريف .

مولده

ولد عمرأبو ريشة سنة 1908م كما ذكر الأستاذ سامي الدهان في كتابه "الشعراء الأعلام في سورية"[2] في قضاء "منبج" بشمالي سورية وقد أكد على هذا التاريخ الأستاذ أحمد الجندي مؤلف "شعراء سورية"[3] ومنبج هذه ليست غريبة عن أسماع الأدباء من القراء ولا هي بالكلمة الجديدة بالنسبة للحياة الشعرية في الإقليم السوري وهي مسقط رؤوس عديد من الشعراء

---

(1) الأدب العربي المعاصر للدكتورسامي الكيالي ، ص 165

(2) المرجع السابق ،ص 307

(3) مجلة "العربي" العدد الرابع عشر، 1379 ، ص 131

كأبي عبادة البحتري و أبي فراس الحمداني و دوقلة المبنجي الذي تنتسب إليه قصيدة "اليتيمة" الشهيرة فهي بلدة أنجبت الكثيرا من الأدباء والشعراء الفطاحل قديمًا وحديثاً .

أسرته

كان والده شافع أبو ريشة من أبناء الأمراء في عشيرة الموالي انحدروا من آل حيار بن مهنّا بن عيسى وهم من سلالة فضل بن ربيعة من طيئ وكانت لهم في عهد العثمانيين صولة و دولة فأرسل الحاكم العثماني في بلاد الشام أحد أبنائهم شافع أبا ريشة إلى الآستانه ليتلقى العلم فيها ودخل شافع وظائف الدولة و تنقل في المناصب العديدة و تزوج من بلدة "عكا" و وصل شافع في نهاية الأمر إلى أن يكون "قائممقام" في "منبج" من قبل الخلافة العثمانية.[4]

نشأته

عاش عمر أبو ريشة في بيت العلم والثروة و نشأ في بيت كان يقول أكثر أفراده الشعر كانت أسرته أسرة شعرية بكل المعنى الحقيقي للكلمة حيث كان أبوه شاعرا أشرب قلبه بالشعر الصوفي و كذالك كان جده وإذا كان للوراثة أثرها في نشأة الإنسان ففي وسعنا أن نقول إن الملكة الشعرية قد انتقلت إليه بالوراثة وقد مست جذوة هذه الوراثة أكثر أفراد العائلة إذ

---

(4) تاريخ الشعر العربي الحديث للأستاذ أحمد قبش ، ص 272

نرى أن أكثر أفراد بيته قد قالوا الشعر فأخوه أيضا كان شاعرا وكذلك أخته زينب كانت شاعرة و أمه كانت تتذوق و تحفظ عشرات القصائد لأكابر الشعراء المتصوفين فبدأ عمر ينظم الشعر منذ نعومة أظفاره وأصبح أبرز أفراد العائلة في رفع راية الشعر وهذا هو السبب الذي دفعه فيما بعد أن يهجر صناعة النسيج في إنكلترا ليعيش في جو الأدب الإنكليزي خلال إقامته في مانشستر.

ترعرع عمر في "منبج" وانتقل منها صغيرًا مع والده إلى حَلَب و قضى طفولته فيها و دخل مدارسها الإبتدائية و تعلم فيها ما كان يتعلم أنداده ثم انتقل إلى بيروت عام 1924م [5] لإتمام دراسته الثانوية في الجامعة الأمريكية هناك و كان الشعر العربى يغلي في صدور الجامعيين حماسة و غزلا و كانت الشبيبة تتأثر بالأحداث المعاصرة و تثور للمعارك الدائرة في سبيل الاستقلال و القومية العربية و تنهض لنصرة الشام و كانت تعاني من ظلم المستعمر و تكتوي بنيرانه فيرسل الشباب بالجامعة مقالاتهم و قصائدهم إلى الصحف والمجلات الصادرة من سورية و خارجها [6] و يقف عمر خطيبًا و شاعرًا أمام الجماهير و قبل أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره أحس برسالته في نصرة العرب والدفاع عنهم وعرف أن أهله من طيّئ و

---

(5) الشعراء الأعلام في سورية للدكتور سامي الدهان،ص 307

(6) المرجع السابق، ص 307

أن أمّه من "عكا" و أن أمجاد العرب تسري في دمائه فسال الشعرعلى لسانه وهو بعيد عن حلب فأعجب به أصدقاؤه وزملاؤه.

كان الشعراء الفحول الأقدمون يرون أنه لا تكتمل للشاعر أسباب النبوغ إلا إذا أجاد شعر الوصف بعامة ووصف الطبيعة بخاصة وقد برع في ذلك البحتري و أبو تمام و ابن الرومي وابن المعتز وغيرهم ففي جرأة محمودة يصف عمر أبو ريشة الفخر ومن ألوانه شعره شعر الطبيعة والغزل والقصائد القومية و الوطنية التي تنبه الغافل و تلهب مشاعر اليقضان و تخاطب ضمير أبناء وطنه، تستنهض هممهم و توقظ النوام من سباتهم و فيها أيضا يدعوهم إلى الثورة على مصائب التأخر و ألوان الفساد وكان عمر أبو ريشة مولعا بالشعر والأدب منذ الحداثة إذ أننا نجد أن عمر أبا ريشة لم يتجاوز العشرين من عمره حتى طبع له مسرحية شعرية سماها "ذي قار" ألفها في العشرين من عمره حوالى عام 1929م و جعلها في أربعة فصول ومناظر عديدة و ساق حوارها الشعري على بحور مختلفة من الشعر و موضوع هذه المسرحية بسيط جداً فهو يدور حول الحرب بين العرب والفرس فقد خطب كسرى ابنة النعمان"الحرقاء" ولكنها أبت أن تكون تحت علج أعجمي ووقف الأب دون ذلك ولقي في المعركة مصرعه فاستنجد العرب بالمنذر واشتبك هذا مع الفرس في "ذي قار" وكان النصر للعرب فانتقموا لعرضهم و كرامتهم.[7]

---

(7) الشعراء الأعلام في سورية للدكتور سامي الدهان ، ص 307 -308

و"مثلت هذه المسرحية مرارا فهي من أوائل الشعر المسرحي في بلده ... وهي في 116 صفحة صغيرة أهداها إلى رجل العراق الأستاذ محمد حبيب العبيدي الذي عمل في سبيل العرب والإسلام فألف كتابه "جنايات الإنكليزي على البشر عامة و على المسلمين خاصة" وأخرج كتابه "النواة في حقول الحياة" فدلل عمرعلى حب للعرب وتفاني في هذه العقيدة و كره المستعمرين من صميم قلبه و فكره فكتب هذه المسرحية وهو ما يزال طالبا في الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1929م والشعر في هذه المسرحية مطبوع سهل فهو يقول على لسان "عمرو" " [8]

هاك يا ورق قصيدي وانشديه إنّ فيه

نغمات وقعتها الزفرات

عصفت فيها أكف الحسرات

فاستحالت نغماتي لأنين --- واحنيني

حطمت يا ورق أوتاري الهموم والكلوم

فتلاشت بين طيات الأثير

لم يعد فيها سوى النزر اليسير

أنشديني آه يا ورق أنشديني أنشديني

و مما يبدو أن عمر في سنه المبكرة تأثر بالروح المهجرية السائدة في عصره ولذلك نجد الشعر الحزين يتغلب على شاعريته في سن المراهقة

---

(8) مثلت هذه المسرحية على مسرح "المدرسة الشرقية" بحلب سنة 1929 وقامت بها الفرقة القومية الحلبية كما ذكر الدكتور سامي الدهان في "الشعراء الأعلام في سورية"،ص 308

وقد أخذ عن الشعراء المهجريين أساليبهم و بحورهم و قوافيهم وحين اشتد به الحزن قال في المسرحية السالفة الذكر على لسان "عمرو" :[9]

خففي الوطء يا هموم فإني ما وطئت العشرين إلا قريبا
أنت أضنيتني بميعة عمري أنت علمتني البكا و النحيبا

وقد كثرت هذه الألفاظ على لسان شخصياته فترددت كلمات السعير واللظى و التعس كما كثرت ألفاظ الاعتزاز و الفخر فهو يقول على لسان جسّاس:[10]

لاعتب إن جرت عليك يراعتي وملاك شعري قام في شيطانه
فالشعر طوعي ما غمزت عصيه إلا جرى كالماء في جريانه
ما البابلية مع تقادم عهدها أشهى و أذكى من عتيق دنانه

دراسته في إنكلترا

في سنة 1930م أرسله أبوه إلى مانشستر(Manchester) في إنكلترا ليدرس صناعة النسيج[11] هو بعيد العشرين من عمره حينذاك بذل محاولات موفقة في الشعر لأن الشعر قد أغلب على نفسه أكثر من دراسة صناعة النسيج وأثبت أنه كان يسير بخطوات سريعة إلى الشاعرية فقد كان لفظه متينا و قوافيه مستقيمة وكانت معانيه تهدف إلى ميادين مختلفة تحاول

---

(9) نقلا عن "الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان، ص 309

(10) المرجع السابق،ص 309

(11) أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث ج 3 ، محمد يوسف كوكن ، ص 212

التجديد و الابتكار ولذلك نجده يترك دراسة صناعة النسيج ويشغف بالشعر و الشعراء و ينظم قصائد و مقطعات.

وقد نشرت "مجلة الجهاد" بحلب في يناير1932م قصيدة طويلة أرسلها الشاعر من لندن وجعل عنوانها "خاتمة الحب" [12] ذكر فيها عن حبه مع فتاة جميلة فاتنة أعجب بها إثرالنظرة الأولى و رغب في الزواج منها ولكن بعد مدة قصيرة قضت حبيبته نحبها فتحطم كل آماله حتى أنه نظم رثاءها في ليلة واحدة و لعلها من أجمل الرثاء في الشعر السوري المعاصرفصور فيها حبه العنيف الذي التفتت إليه الأنظار وقد أدرك النقاد في هذه القصيدة خطوة جامحة نحو الشعر الغربي من غير إساءة إلى عمود الشعر العربي أو ابتعاد عن الذوق العربي الأصيل لأن فيها روعة وجمالا فهذا الرثاء يفصح عن شاعرية عمر و نطلع عن طريق هذه الرثاء على ما كان للشاعر في إنكلترا من الحب و الوداد يصف عمر أبو ريشة في مطلع هذه القصيدة يأسه بعد الفاجعة ثم يصف حبيبته الميتة فيقول:

عفة البرد ماعهدت بك الصمـ ت قبيل اللقاء في كل حال
طوقيني بساعديك فلا خو ف علينا من أعين العذال
ما أرى الموت مطفئا شعلة الحسـ ن ولا بالمزيل سحر الجمال
جفنك اليوم مثل جفنك بالأمـ س كساه الفتور يتم المثال
فكأن الأغماض فيه نعاس أو حياء أو نشوة من دلال

---

(12) الشعراء الأعلام في سورية للدكتور سامي الدهان ، ص 314

زادك الموت فوق حسنك حسنا وكساك ببردة من جلال
مثل ورد يرف بعد قطاف وشهاب يشع أثر زوال [13]

هذه صور حزينة في رثاء الحبيبة لعل عمرأبو ريشة وقف منها كما يقف شعراء الإنكليز بعد هول الصدمة و النكبة فترسم خطاها و سعى وراءها ليلقاها جميلة ساحرة بعد الموت و غلب على عمر في هذه الفترة التشاؤم بعد وفاة حبيبته ولجأ إلى الحزن و العزلة والهدوء وكذلك غلب عليه الاتجاه الديني فاتجه إلى الله وآمن بحكمته في تدبير شؤون العباد و عاد إلى القضاء والقدر مسلماً مؤمناً في عقيدة صادقة و تعلق بالدين الإسلامي وأراد أن يقوم بنشر الدعوة الإسلامية في لندن فكتب أيضا بعض المقالات تحت عنوان (التبشير الإسلامي و أثره في بلاد الغرب) والتي نشرتها مجلة الجهاد بحلب في 6 مارس 1932م [14] وقد ذكر فيها أنه زار جامع لندن ولقي الهنود المسلمين و تحدث إليهم و عرف ما يصنع التبشير في آسيا و إفريقية وكان لهذا اللقاء الأثر في حياة عمر فقد كشف عن عقيدته الإسلامية و تعلق بالتصوف والحكمة والقضاء و تأثر بموت الشخصيات الإسلامية و خسارة المسلمين بفقدها وعلى سبيل المثال يبكي

مصطفى نجا عالم بيروت ويقول في خاتمة رثائه:

كرام العرب صبرا كل حيى سيشوي فوق ترب الهامدينا
وكل مصيبة مهما ادلهمت على غير التصبر لن تهونا

---

(13) الشعراء الأعلام في سورية للدكتور سامي الدهان، ص 315

(14) المرجع السابق، ص 317

تناسوا امرة الدنيا فانا إلى الديان يوما راجعونا [15]

مثل هذا الشعر الديني لا يقوله شاعر إلا متأثرًا بيئته و تربيته أو بظروف عيشه وحياته و ظلّ عمر يقول الشعر القانط اليائس و يبكي الحب و الأموات و كذلك يرثي أعمال المسلمين فكأنه تعلق بالدين و التصوف و العزلة فلجأ إلى جامع لندن و زواره وهو ينظم في موضوعات الحب الضائع و المفتي الراحل والدين المهدد بالمبشرين و هكذا عاش هذه الفترة قبل أن يسافر إلى باريس.

في باريس

غادر عمر إنكلترا متوجها إلى باريس وهنا تغيرت حالته الذهنية و بدأ يكتب شعرًا لم نكن نسمعه عنه من قبل هو شعر الحسان و الغيد واللهو و العبث و شعر المرح والابتسام والأمل البسام فكأنه شخص آخر ولد ولادة جديدة فراح يتغني بالقنص المترف والصيد العنيف فيقول:

أفدي الحسان وأي صبـ بّ لا يكون فداءهنه [16]

وهذه الأبيات وغيرها من لداتها قرضها عمر أبو ريشة في عهد شبابه فشبت هذه الاشعار و اصطبغت عنده بلون جديد من الشعر في المرأة ظل يعالجه في أنغام مختلفة فكأنه صورة لسمة عمر بن أبي ربيعة

---

(15) نقلا عن "الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان، ص 317

(16) المرجع السابق، ص 317

يتصيد الجمال و أحيانا نراه كأنه موصل به حتى لقد سبقه في كثير من الأحوال فيميل مثله إلى الثغور و يسكر لياليه و يقبل على العيون التي ينتشي بها و جَنى ما جَنى ثم يندم و يعاهد نفسه على أن لا يعود إلى الذنوب و الآثام ولكنه ينقض العهود ثم يعتذربقوله:

في الصبح أبرمت العهود وفي المساء تقصتهنه

هذي ذنوبي إنما الـ عشرون تشفع لي بهنه [17]

الذين قاموا بالموازنة بين شعر عمر أبي ريشة قبل باريس و بعدها عجبوا أشد العجب لاختلاف الروح و تبدل النظرة وانقلاب الشاعر من حال إلى حال فقال صديقه الفنان الأستاذ حمدي كامل يحلل شعره:

"ربما تأخذك الدهشة عندما ترى ذلك القانط اليائس هو عين ذلك المرح الطروب المتقلب على بسط الأنس و المسرات ولكنك لو أحطت علماً بالبيئة والظروف التى نظمت فيها هذه القصائد المتباينة لما تركت للدهشة من نفسك سبيلا فالأبيات الباكية صور ناطقة عن نفسية الشاعر بعد مغادرته أحبابه و بلاده وقد نظم أكثرها أثناء مروره بالآستانه و إقامته بإنكلترا والأبيات الباسمة تمثل لنا الشاعر في باريس "حيث الهوى فرض عليه و قبلة الوجنات سنة" فهذا الشعر اذاً لسان الشاعر في فرحه و ترحه أنسه و بؤسه ولا أرى تبايناً ألبتة في نفسيته تلك النفسية التي ذهب بتحليلها

(17) الشعراء الأعلام في سورية للدكتور سامي الدهان، ص 318

أصدقاؤه مذاهب شتى".[18]

عودته إلى سورية

وقد عاد عمر أبو ريشة من إنكلترا في 16 مايو 1932م لقضاء العطلة الصيفية في حلب ولم يرجع بعدها إلى إنكلترا واستقر مع أسرته في حلب إلى آخر حياته فقد هجر الدراسة و دخل ميدان النضال والكفاح في "الشباب الوطني".

وبالرغم من ارتباطاته الوظيفية العديدة كتب عمر أبو ريشة المسرحيات الشعرية فكتب "سميراميس" و "ذى قار" ومسرحية "محكمة الشعراء" و "الطوفان" والأخيرتان لم تنشرا وقد نشر بعض فصول "محكمة الشعراء" في "مجلة الحديث".[19]

سندت الحكومة السورية إليه إدارة المكتبة الوطنية بحلب كأمين عام لها فازدهرت و زخرت هذه المكتبة بنوادر الكتب و المخطوطات القديمة الغالية والمجلات القيمة هذا وقد قدرالمجمع العلمي العربي موهبته الشعرية فانتخبه عضوا مراسلا عام 1948م [20] وفي 21 كانون الثاني عام 1950م عين وزيرا مفوضا في البرازيل[21] ثم انتقل سفيرا لبلاده إلى الأرجنتين وأنه قضى مدة طويلة في العاصمة الهندية نيودلهي سفيرا للجمهورية السورية

---

(18) الشعراء الأعلام في سورية للدكتور سامي الدهان، ص 319

(19) نقلا عن المرجع السابق،ص 330

(20) الأدب العربي المعاصر في سورية للدكتور سامي الكيالي، ص 169

(21) المرجع السابق ،ص 169

"فجاء إلى الهند سفيرا في فترتين الفترة الأولى من 1952م إلى 1957م ... والفترة الثانية من 1964م إلى 1972م."[22] توفي عام 1990م في الرياض.[23]

شاعريته

نظم عمر أبو ريشة الشعر في سن المراهقة و كان يعتمد أولا على حسه الذاتي في تصوير الكثير من مظاهر الحياة ثم عكف يدرس الأدب على أساتذته الممتازين و يصف لنا هذه الأدوار التي مرت في حياته قائلا:

" هناك أدوار متباينة النزعات مرّت عليّ وتركت في حياتي الأدبية أثرها العميق أحببت في أول نشأتي شعر البحتري و أبي تمام و شوقي و أضرابهم لأن أساتذتي – سامحهم الله – كانوا يغرقون في امتداحهم ولا يشحذون لساني إلا بشعرهم"[24]

وفي ذلك الوقت يرقص عمر أبو ريشة عند سماعه :

ريم على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم [25]

ولما أخذ المعلم يشرح له ما بهذه القصيدة من الجمال اللغوي خيل إليه أن القصيدة لا تضم شيئا من هذا الجمال وليس لها قيمة فنية وتحت تاثير هذا الرأى أخذ ينظم قصيدة قال في مطلعها:

---

(22) الصحوة الإسلامية ، جمادي الآخرة 1424 م _ أغسطس 2003 ، العدد 45 ، ص 30

(23) المرجع السابق، ص 29

(24) الأدب العربي المعاصر في سورية للدكتور سامي الكيالي ، ص 165

(25) المرجع السابق ، ص 165

"سلاها" ما الذى عنّى ثناها وقلبي في التنائى ما "سلاها"[26]

ولم يكتف عمر أبو ريشة بهذا بل سرعان ما بدأ يعارض "بائية " أبي تمام و "سينية" البحتري و لم يستفد شيئا من هؤلاء إلا اللغة و التركيب أما الفكرة الشعرية فقد كبا دونها خيالهم الكسيح ولم يستطع عمر أبو ريشة أن يتغلب على الملل الذي قد أصابه من هذا النوع من الشعر وهذه الزمرة من الشعراء فبدأ يبحث في كتب الأدب والشعر ما يروي به ظمأه فلم يذهب جهوده سدى لأنه عثر على شعر جيد مبعثر هنا وهناك كأبيات لأبي صخر الهذلي وأبيات لعبدة بن الطيب وابن زريق البغدادي والوليد الأموي والأسدي و هذا الأخير هو صاحب القصيدة الرائعة:

نأت دار ليلى وشط المزار فعيناك ما تطعمان الكرى [27]

سافر عمر أبو ريشة عندما ساعده الحظ إلى إنكلترا لإتمام دراسته فشغف أثناء قيامه فيها بشعراء كثر كشيكسبير وشيلى وكيتس و بودلير و بو و موريس و ملتون و تنسون و براونينغ و أحب الشعراء إليه حسب قوله إثنان: هما بو و بودلير اللذان صرف الساعات الطوال في مطالعة آثارهما، فهما عنده أشبه بلولب صور في حانوت رسام ، كيفما حركه وجد صورًا جديدة تختلف كل صورة عن أختها وفي كل منها رمز ينقل الإنسان من أفق إلى أفق فلا يشعر الإنسان بملل ولا تحس بتعب.[28]

---

(26) الأدب العربي المعاصر للدكتور سامي الكيالي ، ص 166

(27) الأدب العربي المعاصر في سورية للدكتور سامي الدهان ، ص 166

(28) المرجع السابق ، ص 166

على أنه بعد أن تنقل من أفق إلى أفق فى آفاق الشعر العربي و الغربي قال:

"إنني أخاف أن يأتي ذلك اليوم الذي لم تعد تحب فيه
نفسي غير شعر الحياة الصامت" [29]

ولما بلغ عمرسن الشباب كانت سورية تكافح لاستقلالها من براثن فرنسا فكان لذلك أثره في نفسه وأخذ يساهم في تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسي و اعتقل عدة مرات و فرّ من الاضطهاد الفرنسي فاتجه بشعره الوطني إلى كفاح الأمة وكفاح الشعب السوري وكان له في كل مناسبة قومية قصيدة التفتت إليها الأنظار وكان يدعو دائماً إلى رفض الاستعمار وتحرير الأراضي المحتلة و صور وطنه أجمل صورة سنة 1937م في قصيدته "قيود" التي يقول فيها:

وطن عليه من الزمان وقار النور ملأ شعابه والنار
تغفو أساطير البطولة فوقه ويهزها من مهدها التذكار
فتطلّ من أفق الجهاد قوافل مُضرٌ يشد ركابها و نزار [30]

وكانت كارثة فلسطين عميقة الأثر في نفسه فله شعر في نكبة فلسطين ويمتاز عمر أبو ريشة بالشعر القومي و الوطني بالإضافة إلى تميزه بالشعر الرومانسي وقد برع في شعره الغزلي كما برع عمر بن أبي ربيعة في هذا المجال.

---

(29) الأدب العربي المعاصر في سورية للدكتور سامي الدهان، ص 166

(30) ديوان عمر أبو ريشة ،المجلد الأول (الطبعة الأولى 1971) ص 552

آثاره

ترك عمر أبو ريشة آثاراً خالدًة في الشعر فله عدة دواوين و مجموعات شعرية وله أيضا مسرحية شعرية تحت عنوان "رايات ذي قار" وقد أنشأها قبيل العشرين من عمره وجعلها في أربعة فصول تحكي المسرحية قصة "الحرقاء" ابنة النعمان التي خطبها كسرى ورفضت هي و أبوها فحدثت معركة ذي قار-وله مسرحية أخرى بإسم "الطوفان" وله ملحمة بعنوان "ملاحم البطولة في التاريخ الإسلامي" و هي في اثني عشر ألف بيت وله أيضا مسرحية صغيرة بإسم "النواة في حقول الحياة" وهذه المسرحية تبين جناية الإنكليز على البشرية و خاصة على المسلمين وله ديوان بإسم "شعر" وهذا الديوان هو أول مجموعة شعرية له تم إصدارها بحلب عام 1936م وهي في 221 صفحة و فيها مسرحية "الطوفان" و ديوان "من عمر أبو ريشة شعر" هو ديوانه الثاني صدر في بيروت عام 1947م وهو في 294 صفحة طبعته دار مجلة الأديب وله ديوان بعنوان "مختارات" وهو الديوان الثالث له و طبعه في بيروت عام 1959م في 293 صفحة وقام بنشره المكتب التجاري للطباعة و النشر ببيروت وله مسرحيات تحت عنوان "محكمة الشعراء" و"الحسين بن علي" و "سميراميس" وله ملاحم عديدة و منها ملحمة محمد و ملحمة خالد و ملحمة

بطل اليرموك و قد وصلت بعض ملاحمه إلى إثني عشر ألف بيت وله أيضا ديوان شعر باللغة الإنكليزية. [31]

(31) تاريخ الشعر العربي الحديث للأستاذ أحمد قبش ، ص 274

الفصل الثاني

حبه و تعلقه بالهند

قبل أن نتحدث عن حب الشاعر السوري عمرأبي ريشة للهند و تعلقه بها نود أن نقدم استعراضا موجزا حول الروابط بين بلاده سورية والهند.

من الثوابت التاريخية أن العلاقات التجارية والثقافية بين الحضارتين الهندية والعربية كانت قائمة منذ الألف الثالث قبل الميلاد[1] والهند أيضا كالبلاد العربية مهد المعارف و الأفكار و مسكن الملاحم و الآثار مثل "مهابهارات" و "الرامايان" و " كاجوراو" و " تاج محل" فهي أيضا مولد المذاهب و الديانات .

نعرف من خلال كتب التاريخ أن تعاونا وثيقا كان يربط ما بين الهنود و السوريين ولا شك في أن الهند وسورية هما صديقان حميمان وبينهما علاقة متعددة الجوانب وتبادل منتظم عالي مستوى الزيارات و التجارة المتنامية وأن سورية كانت على علاقة تعاون وثيقة مع العديد من المناطق في الهند وهذه الحقيقة ليست بحاجة إلى برهان.

إن الروابط بين الهند وسورية يمكن أن يتم العثور عليها بسهولة في السوق فعلى سبيل المثال نرى أن سورية حتى الآن تستورد معظم احتياجاتها من التمارينـد من الهند إن كلمة (تمارينـد) هي مركبة من كلمتين

---

(1) ثقافة الهند، المجلد 49، العدد 1 سنة 1998، ص 107

هما تمر و هندي (أي تمر من الهند) و أن ثمرة التمارند الهندية (شجرة من الفصيلة البقلية) يجري تصديرها إلى هذا الجزء من العالم منذ قرون و كذلك النارجيلة تتلألأ بأشكال و حجوم عديدة في المحلات التجارية السورية فمعظم هذه النراجيل الدقيقة الصنعة مصنوعة في مدينتنا "مرادآباد" بولاية أترابراديش وهي تستخدم على نطاق واسع فى المطاعم والبيوت في سورية.[2]

وكذلك يلاحظ المرء بوضوح التأثيرات الهندية في اللغة العربية والثقافة السورية كما أن هناك العديد من القواسم المشتركة بين الهند القديمة والعالم العربي على صعيد العلوم و الرياضيات والطب والأدب .

لقد اهتم العرب اهتماماً خاصاً بالفكر الهندي والفلسفة الهندية منذ القدم نجد الخلفاء العباسيين مشجعين على الدراسات والترجمات للكتب الهندية .

الهنود هم الآخرون لم يترددوا في تعلم الأدب العربي واللغة العربية وهذه السلسلة للتعلم المشترك لا تزال مستمرة هنالك المئات إن لم يكن الآلاف الكلمات ذات الأصل العربي ليس فقط بالهندية بل في لغات هندية أخرى مثل تيلغو و ماراثي،من أمثال مشكل ، ممكن، سفر، خريف.[3]

---

(2) دمشق لوحة الفسيفساء الساحرة للسيدة سادهنا و داينيشوار، ص 95

(3) المرجع السابق ، ص 97

المكانة المتميزة التى تحظى بها الهند في الأدب العربي واضحة من خلال الصور العديدة التى تبرز جوانب الحياة الهندية، فالكتب السانسكريتية مثل "بانتشتنترا" وملاحم "الرامايانا" و "المهابهاراتا" قد أثرت على الأدب العربي حتى ولايات ومدن و أنهار وجبال الهند ونباتاتها و حيواناتها قد جذبت أنظار الكتاب العرب إليها والدليل على هذا القول أن الأديب الاريب ابن المقفع قد نقل كتاب "بانتشتنترا" عام 757م إلى اللغة العربية عن الفارسية باسم "كليلة و دمنة" .

إن السوريين على غرار بقية العرب يعرفون الهند و يكنون لها قدراً كبيراً من الاحترام ويعتبرون بلاد الهند بلاد الحكمة و الحكماء العظام و الفلسفة وعلم الفلك فهي عندهم مهد الملاحم العظيمة.

وبعد هذا الاستعراض الموجز حول العلاقات بين بلد الشاعر عمر أبي ريشة و بلاد الهند نعود إلي حب الشاعر للهند و تعلقه بها ففي هذا الصدد نود الإشارة إلى أن عمر أبو ريشة كان شاعرا دبلوماسيا شهيرا ومعروفا وهو شاعر الحب والجمال و شاعر الشباب السوري قد تمكن من الفرصة ليقضى مدة طويلة في العاصمة الهندية نيو دلهي سفيرا لبلاده وبذلك تحققت أمنيته لزيارة الهند لأنه كان من عشاق الهند وكتب عن عشقه للهند في تقديمه لكتاب"تحية الهند" لصاحبه محمد سعيد الطريحي إذ هو يقول:

> "كانت أمنيتي الغالية أيام الشباب أن أزور الهند و أتعرف عن قرب إلى تلك البلاد التى أحبها أجدادي واتخذوا من أحرفها الثلاثية إسما من أحب الأسماء على بناتهم و

تغنوا به في شتى تجليات الحياة الفاتنة و شاء القدر أن تحقق لي تلك الأمنية فعينتني بلادي سفيرا لها فعشت فيها أسعد سنوات العمر حاملا منها ذكريات لا تخبو لها روعة ولا يهدأ لها عين وشاء القدرأيضاً أن يطلب مني الأديب الهندي الكبير السيد السفير راميش- ن - مولى أن أقدم إلى قرّاء هذه المجموعة من الشعر العربي الذي قيل في الهند وكدت أن ألبي طلبه لولا أنني اطلعت على ما كتبه العالم الجليل محمد سعيد الطريحي في هذا الشأن ففضلت عندها أن أزج نفسي في عداد هؤلاء الذين أوحي إليهم حبهم للهند ما أوحي". [4]

أقام عمر في بلادنا الهند مدة لا بأس به فرأى وشاهد آثارها ومآثرها و تأثرتأثرا بالغا بالمآثر الهندية التاريخية ما ينفرد بها في العالم كله لفن بنائها الإبداعي الخيالي ولا يوجد في الدهر نظير له مثل سلسلة من المعابد في "كاجوراو" وقد أمر بتشييدها و بنائها سلالة الـ "تشانديلا" [5] وهي من أعظم السلالات التي حكمت الهند في العصور الوسطى كانوا قوما محبين للفنون خفلفوا وراءهم عددا من أروع الأبنية والآثار التي تزخر بها الهند وهم الذين شيدوا احتفاء بالحياة و الحب سلسلة من المعابد في كاجوراو كتجسد فن العمارة و النحت الهندي في أرقى صوره وهي من أروع المآثر العالمية التي كان يشتاق لزيارتها عمر أبو ريشة ولما شاهدها فاضت قريحته الشعرية فقال قصيدة بديعة عن "معبد كاجوراو" و صور فيها هذا المعبد في صورة متحركة حية كأنه يعيش في أجوائها و يشيد بالفن

---

(4) تحية الهند لمحمد سعيد الطريحي ، ص 5

(5) صوت الشرق ، العدد 418، ص 21

المعماري الخاص بالمعبد و خلوده على مرّ العصورثم يصور الجمال النسوي الذي يتجلى من خلال التماثيل والرسوم الخليعة الخلابة ومن المعتقد أن التماثيل و المنحوتات التي تزين الجدران قد تم نحتها على الأرض ثم تثبيتها على الجدران و يعتبر الشاعر معبد "كاجوراهو" أروع ما شاهده في حياته بين مئات من التماثيل التي تعبر بكل جرأة و وضوح عن الغزائر الجنسية الطبعية الشاذة الخيالية فيستهل الشاعر هذه القصيدة (المكونة من81 بيتا) بذكر لباقة الفن المعماري الهندي و خلوده على مرور الأيام فهو يقول:

من منكما وهب الأمان لأخيه أنت أم الزمان
شقيت على أعتابك الغارات و انتحرت هوان
و تمزقت أملاكها تاجا و فُضّت صولجان !
وبقيت وحدك ، فوق هذا الصخر وقفة عنفوان ! [6]

ثم يخاطب المعبد فيقول:

يا هيكلا نثر الفتون ورنّح الدنيا افتنان
وثب الخيال إلى لقاك وردّ وثبته العيان
وتكلمت أحجارك الـ صماء مشرقة البيان
وتلفتت منها الدُمى بين افتراق و اقتران
نضت الوقار عن الحياة فما استقر له مكان! [7]

ثم يصف التماثيل والأصنام الخليعة المنحوتة على جدران المعبد وصفا بارعا جذابا يستهوي قلوب القارئ استهواء بالغا حيث يقول:

---

(6) ديوان عمر أبو ريشة ،المجلد الأول، دار العودة ، الطبعة الأولى 1971م، ص 101-102

(7) نفس المصدر، ص 102، 103

هذان نضوا صبوة مجنونة ، يتعانقان
وعلى ارتخاء الساعد الريان تخفق خُصلتان
شفة على شفة تفتح برعما و تلفُّ بان
وإلى جوار هما تثنت سروة بل سروتان [8]

ثم يصور الشاعر مشاهد السرور والبهجة والجمال ومناظر الرقص التي قد شاهدها بداخل المعبد من خلال التماثيل المتحدثة على الجدران تصويرا فنيا رائعا وأخيرا يشير إلى دمار القيم الخلقية وانتهاك حرمات المعبد بواسطة هذه التماثيل الخليعة فيقول:

كاجراؤ ! هل من حرمة لك عند رائيها تصان !
كم زائر أدمى فؤادك ما أسرّ و ما أبان
أخفى الرضى وتظاهرت بالسخط، عيناه اللتان ...
تتحريان و تنهلان و تسكران و تحلمان !
كاجراؤ، عفوك ليس لي مني على حلمي ائتمان!
مزقت أقنعة الحياة وما عليها من دهان [9]

وهكذا استطاع الشاعر أن يوجه كلمة إعجاب و تقدير للفن المعماري الهندي و توقه النسائي اللطيف مع تحفظه بفكرة الاحتفاظ بحرمة المعبد و تثبيط مظاهر الخلاعة والمجون.

---

(8) ديوان عمر أبو ريشة ،المجلد الأول ، دار العودة ، الطبعة الأولى 1971 ، ص105،104

(9) نفس المصدر، ص 115-116

وما نظن أن هذا المعبد العظيم الذي زينته مئات التماثيل أقرب إلى الخلود من شعر عمر أبي ريشة لأن الدهر قد يمكن أن يقضى عليه بأيامه الفانية أما شعر عمر فسيبقى برناته الخالدة ونغماته المصورة .

و"تاج محل" هي الأخرى من أروع المآثر العالمية في الهند بل هي الأعجوبة الهندسية الهندية التي تعد من إحدى عجائب العالم و غرائبها وقد أمر بتشييدها و بناءها الإمبراطور المغولي "شاه جهان" في آغرا، ولاية اترابراديش تخليدا لذكرى زوجته الحبيبة "ممتازمحل" وهكذا خلدها ولكن لا بصورة ولا تمثال لقد خلدها بقطعة فنية من الرخام وهو بناء ليس في حاجة إلى وصف لأنه مبنى يلهب عاطفة أي مشاهد وبالنسبة للعامل المكاني فإن بناء تاج محل بين المنارات يضفى عليه أبعاد إنسانية مدهشة يؤكدها و يزيدها إدهاشا أن البناء شيد وسط حديقة مغولية كبرى وأن ألواحا مرمرية شديدة الرقة تكسو الضريح تتخللها فرج من النقوش و الآيات القرآنية التى تمنح البناء سيلا من الألوان لا تستطيع أن تصفها كلمات.أعجب بها عمر أبو ريشة إعجابا شديدا و قال قصيدة رائعة في وصفها جعلت هذا المبنى الرخامى مشهورة في مشارق العالم و مغاربه كرمز حقيقي للحب و الغرام ولعل ذلك هو السبب الذي دفع عمر أبا ريشة إلى خطابها بـ "حب الأرض" إذ هو يصف تاج محل قائلا:

ملاك الموت طاف بي الأعالي دمشق بها غياهب كل نية
وأبرز لي النجوم و كل نجم يتيه بما لديه على اخيه

وأنت طويت عمرك في التغني بفردوس الجمال وساكنيه
فأين تريد أن تحيا بعيدا عن القلق المرير وعن بنيه
ولاح إلى نجم من بعيد ثملت من مواكب راصديه
توشح بالغيوب فكان بدعا يتيم الند منفرد الشبيه
نقلت هناك قال بكل رفق هو النجم الذي قدمت فيه [10]

ولعمر أبي ريشة منظومات أخرى جاء فيها بذكر الهند أو مدح فيها أبطال الهند و شخصياتها البارزة فعلى سبيل المثال له قصيدة طويلة في رثاء جواهر لال نهرو يقول فيها:

تلفت أيها الوطن المفدي اتلمح من يجر عليك قيدا
لئن خفرت لك النعماء عهدا فماخفرت لك العلياء عهدا
مشيت على الخطوب السود دهرا ولم تمدد لزند الوهن زندا
وللإيمان في جنبيك نور يربك الشزك ريحانا و وردا
فلم شقت لك الانواء بندا وكم قضت لك الاهواء جندا
وافت كما أراد الحق ابقى على الأيام اقداما و جهدا
"اهمسا" صاح في نجواك "غندي" فلم تجعل خماد الجرح حقدا
إذا وثب المحق الى مناه فلن تلقى لوثبته مردا
زعيمي في حماك طويت عهدا سخيا فيضيه ونشرت عهدا [11]

---

(10) صوت الشرق ، ص 17 ، العدد 355 ،مارس-أبريل 1993م

(11) تحية الهند لمحمد سعيد الطريحي ، ص 14

وقرض قصيدة في ذكركنيسة مهجورة قائمة على إحدى التلال القريبة من مدينة "جامو" بشمال الهند وسماها "النسيان أقسى من الموت" وقال فيها:

معابد لا يطوف بها سوى الأشجان والأحزان
تخلى عن معالمها قدامى صحبها الرهبان
فلا يلمح في شتى جوانبها سوى الغربان
فلا حبل لناقوس ولا أطرالى صلبان
تناثر جمعها مزقا ولم يثبت لها أركان
معابد لم يعد يأوي إلى أفيائها إنسان
عجبت لإمرها ما في سحل حياتها حدثان
فراغ قاتم الأجواء لا موتى ولا أكفان
أسائل كيف ذل الصخر كيف تناثر البنيان
عرفت السر دلتني عليه غربة السلوان
هو النسيان ما أقساه يا ربي هو النسيان [12]

فهذه هي آثاره العربية الشعرية المتعلقة عن الهند و المنثورة على صفحات دواوينه الشعرية والتي هي خير دليل على أن الهند لها أثر ملموس في نفسه فلا مراء في أنه قد تأثر بحضارة الهند و ثقافتها إلى أبعد حد و غاية و عبر أحسن تعبير عن عواطفه و مشاعره نحو أساطير الهند العظيمة ومآثرها الإبداعية الفنية الخالدة.

---

(12) تحية الهند لمحمد سعيد الطريحي ، ص 13.

ولا يختلف إثنان في أن عمر أبا ريشة كان من عشاق الهند حقا و تتبلور هذه الحقيقة من مقابلة صحفية أخيرة له تم نشرها في صحيفة "الشرق الأوسط" ففي هذه المقابلة رداً على سوال عن النقد و النقاد قال عمر أبو ريشة كما يلي :

"عاصرت نقادا كثيرين و التقيتهم و أغلبهم في الهند التي اعتبرها نقطة الضعف الجمالية عندي فكم زرت و رأيت بلادا و عرفت أماكن لكن الهند تبقى الأجمل و الأعظم وكم عرفت فلاسفة غربيين كبارا و عندما اطلعت على الثقافة والفكر في الهند وجدت هؤلاء سطحيين أمام العمالقة من فلاسفة الهند و اكتشفت أنهم أخذوا أو سرقوا من الفلسفة الهندية ووضعوا مدارسهم التى اعتبرت أساس الثقافة العالمية مثل ديكارت و غيره ولنأخذ مثلا جواهر لال نهرو فقد فرضت السياسة عليه فرصا لأنه فيلسوف عملاق و كريشنان أيضا من عباقرة زماننا وفلاسفتهم وقد توسعت كثيرا في دراسة الفكر والفلسفة في الهند وأنا أحافظ على زيارتها في كل عام لأن ما يربطني بها عميق جدا و إعجابي بطبيعتها كبير وخاصة جبال الهملايا".[13]

---

(13) ثقافة الهند ، المجلد 49 ،العدد 4 عام 1998 ،ص 17

الباب الثالث

الصبغة الرومانسية في شاعرية عمر أبي ريشة

الصبغة الرومانسية في شاعرية عمر أبي ريشة

ومن أحسن التعريفات العامة التي تصح على الأدب الرومنطيقي بصورة عامة ما أوضحه الروائي الرومنطيقي ستندال (1783م-1842م) في كتابه النقدي:"بين شكسبير و راسين" يقول فيه ستندال:

"إن الرومنطيقية هي فن تقديم الأعمال الأدبية إلى الجمهور الذي يتقبلها بالسرور الممكن، انطلاقا من تقاليده و معتقداته الحاضرة...." [1]

في سياق هذه الكلمات يمكن لنا القول إن معظم الكتاب الكبار كانوا رومنطيقيين في زمانهم ولكن الناس جعلوهم كلاسيكيين بعد مائة سنة أو أكثر و أغلقوا أعينهم عن خطاياهم وانحرافاتهم و بدأوا يقلدون آثارهم تقليد العميان.

ويقول الدكتور إحسان عباس:

"إن الروح العربية كانت مفعمة بالرومنطيقية ... وإن أكثر العصور رومنطيقية هو العصر الأموي بشقه العذري فقط، ما الشق الآخر حيث السياسة و الأغراض التقليدية الأخرى فكان غارقا في كلاسيكية... بمعنى أن هناك شعراء نحوا منحى رومنطيقيا واضحا لكنهم كانوا في جوهرهم و تربيتهم الكلاسيكيين أمثال أبي ذؤيب الهذلي و ذي الرمة و المتنبي"... [2]

---

(1) مذاهب الأدب للدكتور ياسين الأيوبي، الطبعة الثانية 1984، ص 193

(2) المرجع السابق، ص 254-255

ومع هذا كله فقد ذهب أكثر الباحثين إلى أن الرومانسية في الشعر العربي لم تظهر إلا في العصر الحديث و ذلك بسبب احتكاك ثقافة الشعراء العرب بالثقافة الاوروبية وخاصة بسبب ثقافة اللبنانيين و السوريين الذين هاجروا بعدد كبير إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية وبسبب انتشار الآداب الغربية في بلاد المشرق العربي و الاطلاع عليها مباشرة أو غير مباشرة كان لكل ذلك آثاره و عوامله في خلق تيارات أدبية جديدة أو اتجاهات مختلفة غيرت كثيرا من صور الأدب العربي و أحدثت فيه هزات عنيفة أيقظته من سبات طويل و تقليد متأصل كما تهيأت لها الظروف المؤاتية للخلق و الإبداع.

فقد تيسر للشاعر العربي في هذا العصر من الظروف التي يمكن أن نسميها ظروفا خارجية وهي الإتصال بالثقافات الأجنبية و بالذات "الأوربية" عن طريق البعثات و الإرساليات و الهجرات و حركات الترجمة و الاستشراق و غيرها ثم هناك ظروف داخلية نتجت عن الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية المتأزمة في البلاد العربية بانتشار الحكم الفردي و الإقطاع السياسي و الاقتصادي و تعميم الاضطهاد على معظم أفراد المجتمع.[3]

استقبل الشعراء العرب الشعر الرومانسي الأوروبي بشوق و لهفة و يعني ذلك أن الرومانسية وجدت طريقها مفتوحا إلى قلوب الأدباء العرب

---

(3) نازك الملائكة للدكتورة فرحانه صديقي ، ص 118

لأنهم وجدوا فيه طعم الحرية التعبيرية و طاقة أكثر في توصيل الأفكار والمعانى انهم في الحقيقة قد كانوا أصبحوا مملين من الأشكال القديمة و كانوا بحاجة أكثر إلى التغيير فيها التي لم تعد تتلاءم مع متطلبات العصر الحديث ومن هنا أنهم كانوا بحاجة إلى أشكال جديدة و إلى آفاق جديدة يستطيعون من خلالها التعبير بحرية عن همومهم الذاتية و كانوا لا يريدون أن يكونوا مقيدين بالشعر العربي القديم معاني و أوزانا وهم كانوا يريدون أن يقولوا بوحي نفوسهم و إلهام حرياتهم لا بوحي الأقدمين و إلهامهم لكى يكون الشعر أكثر صدقا و مؤثرا و أشد التصاقا بالنفوس و ذلك باللجوء إلى الطبيعة و استلهام الخيال و من أبرز هؤلاء الشعراء علي محمود طه و نازك الملائكة و بدر شاكر السياب وميخائيل نعيمة و عمر أبو ريشة و أمثالهم كثيرون .

يعتبر جبران خليل جبران رائد الرومانطيقية في الأدب الحديث وهو بلا ريب عميد أدباء المهجر و أبرز أنصار "الرابطة القلمية" التي أسست عام 1920م في نيويورك فكانت الرابطة القلمية ثورة فكرية و بيانية مذهبها أقرب إلى الرومانسية شكلا و بعدها اهتمت "حركة الديوان" بالرومانطيقية وكانت هي الأخرى حركة نقدية و شعرية فكر في تأسيسها عباس محمود العقاد مع زميليه عبد الرحمن شكري و ابراهيم عبد القادر المازني وقد أسهم هؤلاء في توطيد المذهب الرومانسي و بعد حركة الديوان ظهرت

"حركة أبولو" التي كان رائدها و قائدها الشاعر الكبير أحمد زكي أبو شادي.

تقول الدكتورة فرحانة صديقي في كتابها "نازك الملائكة":

> إن النزعة الرومانسية في العصر الحديث ظهرت في مدرسة "الديوان" و شعراء هذه المدرسة كانوا معروفين بنزعتهم الوجدانية و ثورتهم ضد شعراء "عمود الشعر" و ازدهرت عند "شعراء المهجر" و شعراء "أبولو" وكان في طليعة هؤلاء الشعراء علي محمود طه و جبران خليل جبران و إيليا أبو ماضي و إبراهيم ناجي و فدوى طوقان و إلياس أبو شبكة و غيرهم.[4]

وفيما يتعلق بعمر أبو ريشة فهو أيضا قد تأثر بالمدرسة الرومانسية في الشعر العربي الحديث تأثرا بالغاً واشتهر بأعماله الرومانسية و الفضل في ذلك يرجع إلى رحلته إلى إنكلترا وباريس وإقامته فيها للدراسة وخلال هذه الإقامة انتهز عمر أبو ريشة الفرصة لدراسة الأدب الإنكليزي بجانب مطالعة الأدب العربي فأتقن اللغة الإنجليزية و أدبها و نظم بها عدة قصائد فكان يعرف عمر أبو ريشة دقائق الفن الإنجليزي و تأثر ببعض شعراء الغرب و منهم شيكسبير و شيلي و كيتس و موريس و ملتون و تينسون وغيرهم وكان لبو و بودلير أعمق أثر في حياته وذلك لأنه قد بذل ساعات

---

(4) نازك الملائكة للدكتورة فرحانه صديقي ، ص 118

طوال في مطالعة آثارهما وبسبب هذا التأثر العميق عبر عمر عن رأيه العنيف في الحب قائلا:

أنا لن أعيش غدا فأروي قلبها الظمآن حبا
من أين؟ والدنيا طوت أظلالها الفيحاء وثبا
و مراكب الأيام شقت جبهتي دربا فدربا
نامت ! وأشباح الغد الباكي أدقعهن رُعبا !
أيضم غيري هذه النعمى!! متى وسّدت تربا !؟ [5]

ولقد افتتح عمر أبو ريشة ديوانه الأول بمسرحيته "الطوفان" فقال على لسان عاشق إن الحياة جميلة فيشرب الإنسان و يطرب ويغني للحسن و يقول:

كم مرتع بتنا به والليل حاك عليه برده
ولكم أذعت إليه وجدي في الهوى وأذاع وجده
وكم اتكا فوق الزهو ر و مدّ لي باللطف زنده
حتّى اذا طوقته أدميت بالقبلات خده [6]

قال عمر هذه الأبيات ولم يبلغ الكمال في غزله وبالتدريج برع في هذا الفن كما هو واضح من شعره التالي :

جمال الحياة على مقلتيك سكبت فؤادي، فلا تهجع
عصرت على شفتيّ المنى فسالت نعيما على أضلعي
عرفت بك الله بعد الضلال فدل البديع على المبدع

---

(5) ديوان عمر أبو ريشة، ص 141،142

(6) نقلا عن " الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان،ص 335

أغنيك حبي وهذا الوجود ضحوك الثنايا يغني معي [7]

قرض عمر في الغزل كثيرا ومن الحق أنه قد برع في شعره الغزلي مثل شاعر العصر الأموي عمر بن أبي ربيعة وقد قدم كثيرا من الإنتاجات الشعرية التي تتصف بالصبغة الرومانسية ولذا لشعره وقعة في القلب وروعة في النفس وذلك بسبب سهولته وحسن صفته وقرب فهمه وملاءمته لهوى النفوس التي تحب الجمال و المرأة.

نودّ أن نقف هنا عند النبرة الباكية الحزينة المنتشرة في قصائده من الرثاء المعاصر فقد نشرت مجلة "الجهاد" بحلب في يناير 1932م قصيدة طويلة لعمر أبي ريشة أرسلها من لندن تحت عنوان "خاتمة الحب" التي سبق ذكرها في الباب الأول، يذكر فيها عمر أبو ريشة حبه الشديد مع فتاة جميلة فاتنة أعجب بها إثر النظرة الأولى و رغب في الزواج منها ولكنها من سوء الحظ قد توفيت بعد مدة قصيرة فتحطم كلّ آماله واستولت على نفسه السآمة و التشاؤم و نظم رثاء حبيبته في ليلة واحدة وفي هذه القصيدة تتجلى علاقة الشاعر مع حبيبته فهو يصور تصويرا رائعا الحب الذي قد استوطن قلبه يريد الشاعر بهذه القصيدة العذبة أن يصل إلى روح المتلقي.

ورسم عمر ألواحا مختلفة لنساء عرف فيهن العبوسة و الكآبة والسعادة و يقال إن كمال المبادئ الأدبية أن يرى الإنسان الحقيقة و يصورها كما يراها وعندما نطالع شاعرية عمر أبي ريشة نجد أنه قد نجح

---

(7) ديوان عمر أبو ريشة، المجلد الأول، الطبعة الأولى 1791، ص 597-598

في الشعر التصويري للنساء فهو يكاد يغوص في أعماق نفوسهن وهنا نقدم بعض الأبيات من مختلف قصائده التي تظهر قوة المادة التصويرية عنده فيقول في قصيدة له بإسم "جان دارك":

نظرت إلى مرآتها و الشعر مضطرب الضفائر
و لحاظها بثمالة الأحلام ساهية فواتر !
وقميصها المحلول فوق تواثب النهدين حائر
فاستعرضت عيشا كما شاء الهوى ريان عاطر
وتمثلت خدنا يحل براحتيه له المآزر
ويضمها شعفا و تهمي فوقها القبل المواطر
فتلجلجت خملا و غصت بالشهي من الخواطر
وتنهدت ألما و أطبقت الجفون على المحاجر! [8]

ومما يبدو أنه كان يعرف من أمر الشقراوات ما لا يعرفه غيره فرسم الصور تعرض حياة المرأة في نواح معينة يغلب عليها البؤس والحزن فيقول وهو يصف حسناء حزينة:

أرى بين جفنيك جسر الدموع تسير عليه طيوف الألم
أتخشينني ؟ إن أمسي انطوى فلا تنشريه خضيب الذمم
فلم يبق فيه ، إذا ما التفت إليه، سوى غصص من ندم
ولا تتركيني على صبوتي طليق الأماني كسيح القدم [9]

ويقول في قصيدة أخرى عنوانها "مظلومة":

---

(8) ديوان عمر أبو ريشة، المجلد الأول، ص 165-166

(9) نفس المصدر، ص 381

لعوب لو عرفناها لما كنا ظلمناها
فكم مرت لياليا على تجريح ذكراها
فما برزت لنا إلا و ضحكتها ، و أصداها
توزعها هنا وهنا و تغمرنا بعدواها
فقلنا ترف الأيام أعطاها ، وألهاها [0]

وفي شاعرية عمر نجد مثل هذا التصوير البارع في أكثر الأماكن و من هنا يمكن القول بأن تصوير العواطف أساس فنه هو تصوير يد صناع وهذه الميزة لشاعريته تظهر في قصيدته التي عنوانها "إمرأة وتثمال" يقول فيها:

حسناء ، هذي دمية منحوتة من مرمر
طلعت على الدنيا طلوع الساخر المستهتر
وسرت إلى حرم الخلود على رقاب الاعصر! [11]

هناك قصيدة جميلة أخرى لعمرأبي ريشة بإسم "الخزان الأكبر" وهذه القصيدة أيضا تتميز ببراعتها الفنية يقول عمر أبو ريشة فيها:

عيناك سوداوان وحشيّتان أقرأ في طرفيهما عمري!
فكم طواني في مداه الزمان وما طوت نجواهما صبري!
فهذه ليلتنا الحالية عادت بأشتات المنى الغالية
ليلة نام النيل مفترا محتضنا حسناءه البكرا [12]

---

(10) مختارات للأستاذ عمر أبو ريشة، ص 165-166

(11) ديوان عمر أبو ريشة ،المجلد الأول ، دار العودة، ص 315

(12) نفس المصدر، ص 301-302 ، الطبعة الأولى 1971

وعاشت المرأة في حياة عمر أبو ريشة بكل عطرها وطيبها فقضى عمر حياته متلهفا إلى شذاها و همسها وهو كان يعتقد أن النساء اللواتي يحظين منه بقصيدة أو أبيات هن الخالدات لأنه قد خلدهن بقصائده و لهذا السبب الحسناوات أيضا كن يحببنه كثيرا كما هو واضح من الأبيات التالية :

حسناء هذي كبرياء الهوى أهوت على أشلائه تدمع
لن أسال الكأس على راحتي من يا ترى بعدي بها يجرع
حسبي من الزنبق أن لا أرى من أيّ شلو في الثرى يرضع
فاستمهلي الليل فلي في غد ما يبعد الظل الذي أتبع [13]

كان عمر أبو ريشة يقرض الشعر وفق المؤثرات الطارئة فكان يستوحي من الصخر والرمل والنجم والمرأة كما كان يستلهم من أخطر الأشياء مثل استلهامه من أحقرها.

فهو لم يقف في شعره عند هذه الميزة فحسب بل خطا خطوات للتعبير عن مجتمعه و قوميته وعن وطنه العربي و عن نزعته الإنسانية وهو كان يعرف كيف يحال الحقائق التاريخية إلى صور مثيرة وكيف يصور حقائق العصر و إلى جانب هذا كله كان عمر يصف طيورا صداحة منسجمة الأصوات تهيم في السماء و تبعثر بأجنحتها النسائم و تغرد في الروض فهو كان يصور حركاتها و شدوها و تحنانها يقول في قصيدته المعنونة بإسم"هزار":

---

(13) مختارت للأستاذ عمر أبو ريشة، ص 213-214

وهزار قد أوحشته معانيه و عاثت كف الاذى بسراحه
ناح في وكره الكئيب وحيدا و مرير الآلام خلف نواحه
يرسل الصرخة الحزينة في الشدو ويزقو من داميات جراحه
أبصر النهر راقصا ورأى الروض زاهيا في ورسه و اقاحه
ورأى ألفه يروح و يغدو و يبت الأطيار عذب صداحه
فبكى لوعة فعاجله النزع خلف المنقار تحت جناحه [14]

يقول الدكتور شوقي ضيف في هذا الخصوص:

"إن شعر عمر أبي ريشة مجاميع من أطياف وأشباح كأن له حظ من إسمه فهو يرسم بريشته لوحات كبيرة تلمع فيها خطوط الاستعارات و ألوانها و ظلالها وكأن روح أبي تمام القديمة بعثت ثانية فيه وهي لم تبعث وحدها بل بعثت أيضا روح ابن الرومي وأضاءت على الروحين أقباس غربية ومن شعر المهاجر الأمريكي ويجعل ذلك شاعريته متعة حقيقية بما يصوغ فيه من مشاعر و تأملات فالشعر عنده ليس صورا فارغة وإنما هو صور مليئة بالأفراح و الأحزان مع الإحساس الدافق بالعروبة و الإسلام."[15]

---

(14) الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام للدكتور جميل صليبا، ص 166

(15) دراسات في الشعر العربي المعاصر للدكتورشوقي ضيف،الطبعة السابعة، ص 234-235

ونجد أيضاً أن عمر أبا ريشة تأثر بالشعراء الذين قد هاجروا إلى قارتى أمريكا وهو كمثلهم ومثل بعض شعراء الغرب الذين كانوا يحبون الامن و السلام والازدهار وهذه الحقيقة تتبين من أبياته التالية :

أجد السلامة في الخمائل تحت أنآت الغصون
وحيال نهر جللت مجراه أسجاف السكون
وازاء واد زلزلت أركانه كف القرون
وأمام فقر عصبت فكيه أطمار المنون
وبقرب نبع مهمل قد فجرت منه العيون
ومنزل ناء وحيـ د ضلّ عنه القاصدون
هذي مواطن للسلا مة من حسود أو خئون
أما اذا ما مت يا قلبي فأسلم ما يكون [16]

تأثر عمر أبو ريشة بالتيارات الأدبية التي كانت تتميز بها الآداب الغربية في تلك الفترة من الزمن ومن هنا يبدو أن قصيدته الذي نظمها بإسم "حرمان" هو مستوحاة من قصائد بودلير و فرلين و أمثالهما الآخرين في هذه القصيدة يقص عمر أبو ريشة حكاية حبيبة هجرت عشيقه ولكن هذا العشيق عاد إلى حجرته فوجدها نائمة على سريره فقال :[17]

سعيت لحجرتي قلقا و جنح الليل معتكر
وأحلامي مخضبة على جفنى تنتحر

---

(16) نقلا عن "الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان ص 312

(17) الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام للدكتور جميل صليبا، ص 187-188

وذكري صبوتي أفعى على جنبي تنحدر

بلغت الباب والضوء الخفيت وراءه يبدو
وما أطبقته حتى اقشعر الشعر و الجلد
رأيت و ليس بي سكر ولا بجوانحي وجد
رأيت على سريري قد غفت هندأجل هند:
فذلك قدها البض وهذا شعرها الجعد
أعادت بعدما انفصمت عرانا وامحي الود؟

وفقت و خافقي يشتد بين جوانحي وثبا
وهند لم تزل تغفو و تنهب صبوتي نهبا
أما نفضت يديها من غرامي وانثنت غضبي
ألم تجنح إلى غيري ألم تخلص له الحبا
علام أتت أتحسب أن سيمحو وصلها الذنبا
أجل ، يا أم الآمي سيمحو وصلك الذنبا

.....

وفقت أقلب الطرف على فياضة الأنس
فثارت بي عواطف بل عواصف حبي المنسى
فسرت إلى اللقاء السمح بين الحلم والهجس
ولما لامست كفى السرير ضحكت من نفسي
وسالت دمعة أودعت فيها منتهي حسي

ولما ذهب عمر إلى باريس تغيرت حالته الذهنية لأنه تغلب على حزنه وآلامه وآماله فلم يعد كثير الألم وبدأ يكتب شعرا جديدا وهو شعر الابتسامة

و حب الحياة و التفاؤل والأمل واللهو والعبث وفي هذه الفترة من عمره قال الأبيات التالية :

أفدي الحسان وأي صـ ـبّ لا يكون فداءهنه
اللينات قدودهن المضرمات خدودهنه
النافرات الواثبات الناهدات نهودهنه
المسبلات شعورهن السود فوق نحورهن
الساحرات بطرفهن وذاك أضعف ما بهنه
المحييات بوصلهن القاتلات بصدهنه
اللابسات من الحياء وروعة جلبابهنه
ما سرن إلا و الفؤاد سرى وصفق أثرهن
(باريس) لن أنسى مهاك ولا الكواعب من (فينة)
حيث الهوي فرض عليّ وقبلة الوجنات سنة
أغوينني بعد المتاب عن الهوى فتبعتهنه
ورتعت في نعم الشباب وما ثنيت له الأعنّه [18]

هذه القصيدة كلها تدور حول الوصف الجمالي الفاتن فالقارئ يبحر كثيرا و يذهب فكره مع الشاعر فيتبادر إلى ذهنه الشعر الذي هو من مفاتن المرأة و تتجلى أمامه عيون ساحرة تأسر القلوب و الاذهان و من ثمة ينتقل القارئ إلى أجزاء أخرى للمرأة كالخد و النهد و كذلك يشاهد فيها القارئ الحياء الذي يعد من جمال المرأة وسلاحها وبهذه الصورة الوصفية يذهب

---

(18) نقلا عن كتاب "الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان، الطبعة الثانية، ص 317-318

الشاعر بالقارئ إلى عالم الرومانسية اللذيذة الذي يجعله يعيش في الحالة التي يتنفس فيها الشاعر بنفسه.

وقد تحدث عمر كثيرا عن المرأة و جمالها و حبها و مفاتنها و في الحقيقة أنه اتخذها وسيلة لبثّ أفكاره الأخلاقية وحينما يخرج إلى ساحة جسد المرأة يكشف عن جمالها في متحفه الغزلي فهو يقول:

فاسدلي الستر فوق نهدين ضجا واشرأبا كجانحَي ورقاء [19]

ومن الملاحظ أن عمر أبو ريشة لا يسعى كثيرا وراء الغريزة الجنسية بل يحب لقاء الروح مع الروح كما يحب المرأة التي تتحلى بالطهر و العفاف فيمدحهن عمر أبو ريشة مدحا رائعا وهنا نقتبس بعض الأبيات من قصائده المختلفة التي تدعم فكرتنا هذه فهو يقول:

فتعاليَ نطلق الروحين من صورة الوهم و نبغي ما وراها
كملاكين اذا ما التقيا ما تعدّت ثورة الشوق الشفاه
فنعب الكأس ريا بالمنى و نبقي في فم الطهر شذاها [20]

ويقول في مكان آخر:

عذراء نفح الطهر خطوتها فكأنها من عالم أسمى
جاد الزمان لها بأكرم ما في راحتيه، فما شكت همّا
وسعت لها الدنيا السموح فلو شاءت لمست كفها النجما [21]

---

(19) نقلا عن " الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان ، ص 336

(20) المرجع السابق، ص 3361

(21) ديوان عمر أبو ريشة، المجلد الأول، ص 370

وفي مكان آخر يصف عمر وصفا رائعا جدا لفتاة ساحرة طاهرة لا تخجل منه لأنها أطهر من أن تخجل وذلك حسب ما قاله في قصيدته المعنونة بـ "طهر" :

طوقتها ، يا للشذا مطوقا ، مقبلا
فما انثنت حائرة و لا رنت تدللا
ولا درت وجنتها من خجل تبدلا
كأنها في طهرها أطهر من أن تخجلا!! [22]

و مما يبدو أن عمر أبو ريشة بلغ من ألواح النساء وصورهن مبلغ الملل في أواخر حياته أو كاد فلم يبق في الكأس ما يسكره ولم يعد في المرأة ما يسحره ولذلك يقول:

حكاية حبّنا ختمت فما أشجى و ما أقسى
جميل منك أن تعفي و أجمل منه أن أنسى [23]

وكذلك نجد الشاعر في كبره يفر من الواقع وهذا يتبلور من قصيدته التي عنوانها "عناد" إذ هو يقول:

هذي الربى كم ضاق فيّ فضاؤها ما لي على جنباتها أتعثر!
شب الحصى فيها و دون زحامه درب يغيب و آخر يتكسر
وملاعبي و مجر أذيالي بها بعدت، فما ترقى اليها الأنسر!
وأتيت مرآتي و عطري في يدي! فبصرت ما لا كنت فيها أبصر

---

(22) ديوان عمر أبو ريشة (المجلد الأول) ص 310-311

(23) نفس المصدر، ص 270

فخفضتِ طرفي، ذاهلا متوجعا ونفرت منها عاتبا أستنكر
خانت عهود مودتي، فتغيرت ما كنت أحسب أنها تتغير! [24]

و في مكان آخريقول:

من يناديني؟ وأعراس الصبا لم تدع في الكأس ما يسكرني
أبتول سلها من خدرها شوقها المخضوب بالحلم الهني
أم هلوك ألفت روضتها شفة الساقي وكف المجتني [25]

وقد بلغ من حب المرأة ما بلغ فأصبح يرى الفتاة الحسناء تستمع إلى شعره شاردة وهي في سن الأحلام أما هو فيزحف فوق الأربعين و يقول لها بعنوان"مراهقة":

شئت ، فغنيت ، كما تشتهين وكنت لا تصغين ، بل تحلمين
يا للأماني ، و يا للحنين حسناء لا تفضي بما تكتمين ...
ما بيننا قافلة من سنين أنا السّرى في المنحنى المبهم !
وأنت حلم الطيّب في البرعم ما لك أغضيت وأغضى الجمال
في طرفك الساهي وغصّ السؤال من أين، من أين، و بيض الليال
مرت بنعمائي مرور الخيال لو جئتني والفجر سمح الظلال
كانت يدي في حبك الملهم زرّت عرى برديك بالأنجم [26]

من جانب آخرنجد الشاعر يلوم حبيبته التي لم تعد تهتم به و تتجاهل ولا تبتسم في وجهه كأنها لم تكن على علاقة ودية معه قط رغم أنها كانت

---

(24) ديوان عمر أبو ريشة (المجلد الأول) ص 184،186

(25) نقلا عن كتاب "الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان ، ص 345

(26) ديوان عمر أبو ريشة ، المجلد الأول، ص 294-295

فيما قبل تلتفت إليه و حتى كانت تعرفه من وقع أقدامه وهذا واضح من قصيدته التي عنوانها "ولا بسمة" عندما يقول الأبيات التالية:

أنكرتني؟ وما زال عبق الهوى ووهجه في ثغري الدامي
أهكذا ينحل ما بيننا و تنتهي نعماء أيامي؟
كم سرت في إثرك في غفلة عنك و ملء الدرب أحلامي
وكم تلقتِ ... و يا طالما عرفتني من وقع أقدامي
مررتِ بي اليوم ولا بسمة منك لطهري أو لآثامي [27]

نجد في هذه القصيدة مدى ألم الشاعر و حزنه لفراق محبوبته وفي قصيدة أخرى عنوانها "وداع" نجد عمر ينهي حبه إلى النسيان و يطلب من العاشقة ما يطلبه من نفسه إذ هو يقول:

قفي! لا تخجلي مني ، فما أشقاك أشقاني
كلانا مرّ بالنعمى! مرور المتعب الواني
وغادرها كومض الشوق في أحداق سكران!
قفي ! لن تسمعي مني عتاب المنف العاني
فبعد اليوم لن أسأل عن كأسي وندماني
خذي، ما سطرت كفاك من وجد و أشجان
صحائف طالما هزت خلعت بها على قدميك
لنطو الأمس ، و لنسدل عليه ذيل نسيان
فإن أبصرتني، ابتسمي و حييني بتحنان
وسير سيرَ حالمة وقولي .... كان يهواني ! [28]

---

(27) ديوان عمر أبو ريشة، المجلد الأول، ص 354-357

(28) مختارات لعمر أبي ريشة ،ص 209-210

وكذلك يقول عمر أبو ريشة في قصيدته التي عنوانها "كنا":

كنا، وما مر على وهمنا أن تسأل الأقداح عن خمرنا
ذاك الصبا الريان ولى وما علمنا كيف تكون المنى!
فكم سحبنا ذيله في الربي ففتق النسرين والسوسنا!
كنّا ... وما أوجعها زفرة مخنوقة البوح ، و ما أحزنا
تأملي لهو الليالي بنا كيف جنى من روضنا ما جنى
لم يبق من مجلى تهاويلنا بين يديه أثرا بينا !
إذا تلفتِ إلى أمسها لم تعرفي من أنت،أو من أنا ! [29]

ولا ريب في أن عمر أبا ريشة هو شاعر الوجدان وذلك لأن الحب قد لعب دورا كبيرا في حياته الأدبية كما ادّى الألم في نفسه دورا كبيرا وأسبابه ظلم و طغيان يضيقان الخناق و لكن عمر أبا ريشة يحاول دائما أن يتغلب على حزنه و يأسه و هذه الحقيقة تتجلى من الأبيات التالية المقتبسة من قصيدته المعنونة بـ "حنين" إذ هو يقول:

خدريني بنغمة تقتل اليأس
وتهمي بالمسكرات عليّا
حسنا تفعلين... غني، أعيدي
اخفضي الصوت،تمتميه إليا
أتركيني على دراعك أغفو
وأذيبي الأصداء شيا فشيّا ! [30]

---

(29) مختارات لعمر أبي ريشة ، ص 177-178
(30) ديوان عمر أبو ريشة ، المجلد الأول، ص 363

تمتاز شاعرية عمر أبي ريشة بوصفها مؤلفة من لغة سهلة واضحة المعاني مألوفة لا غموض فيها و تخلو من اللف و الدوران و التعقيد حتى تكاد تبلغ في سهولتها أسلوب النثر العادي كما هو واضح من الأبيات التالية:

من أنت؟ كيف طلعت في
دنياي؟ ما أبصرت فيّا !
أنا في جديب العمر انثر
ما تبقى في يديا
عودي إلى دنياك و اجني
زهرها غضا زكيا
يكفيك مني ، أن تكوني
في فمي لحنا شقيا ! [31]

و يشير الدكتور سامي الدهان إلى هذه الحقائق كلها قائلا:

" قد بدأ عمرحبه بقصيدة سماها "خاتمة الحب" وختم الحب بقصيدة "كنا" فما أحرى الناقد أن يتساءل عن خاتمة الحب في العشرين ما كانت؟وعن خاتمة الحب بعد الأربعين كيف أصبحت؟ أنها ديوان وحده ، خصصناه بهذه الصحائف لنصور قصة قلبه في فصولها فكأنها وردة قلبنا أوراقها فحسب، لنشم العبير،لا لنتساءل عن ألوانها ونشأتها وتكوينها، فاكتفينا بالعطر فحسب ولم نقف عند المفردات والصور إلا قليلا لننتقل إلى الحديث عن صور البطولة

---

(31) ديوان عمر أبو ريشة ، المجلد الأول، ص 322-323

والوطنية في شعر عمر كما تحدثنا عن قصة الحب".[32]

انتقد بعض النقاد عمر أبا ريشة وقال إنه ضعيف الثقافة، ضعيف التحصيل، ضعيف الاطلاع على مفردات اللغة وأنّ لغته تحتاج الصقل ويقولون إنّ له لغة خاصة به ما يفتأ يكررها في كل قصيدة وهو يصب ألفاظه في قوالب لفظية تغلب على شعره وتطبعه بطابع خاص ويمكننا أن نرسم حدود لغته الشعرية ونحصى قوالبه اللفظية و لغته وإن رفعها الخيال إلى سماء عالية محتاجة إلى متانة و صقل و مصدر هذا أن عمر أبا ريشة لا يديم النظر في دواوين الشعر و كتب الأدب القديمة ولو سنحت له الفرصة لدرس اللغة على أساتذة فحول لاستطاع أن يكون أكثر إجادة في الشعر الحديث بما أوتى من دقة الشعور و عمق الإحساس وقوة الخيال ويبدو أنه يرى نفسه غنيا عن مثل هذه الدراسة التي تقوّي لغته و تصقلها ولكنه اهتم إهتماما كثيرا بالتشخيص والتجسد فهو عميق النظرإلى الصور وهو لا يسعى وراء اللفظ ولكنه يسعى وراء الصور ولذلك يقال إنه من مدرسة أبي تمام و إبن الرومي من هذه الناحية.[33]

وردا على هذا النقد يقول الدكتور سامي الكيالي ما معناه إن الناقد حين يطلق هذا الرأى على شاعرية عمر أبي ريشة فيبدو أنهم ليسوا

---

(32) الشعراء الأعلام في سورية للدكتور سامي الدهان، ص347-348،

(33) الأدب العربي المعاصر في سورية للدكتور سامي الكيالي، ص 167

مطلعين على كل ما كتبه عمر و لاسيما على مسرحيته"سميراميس"التي تتجلي في فصولها قوة خياله وعمق تخيله ودقة شعوره و قدرته على عرض الماضي بصورة حية و أسراره الغامضة وهم أيضا ليسوا مطلعين على تمثيليته "محكمة الشعراء" لأنه في هذه التمثيلية قد بلغ الكمال في تصوير هواجس شعرائنا المعاصرين و ما تفيض به قلوبهم من لمحات و نزوات.[34]

في الحقيقة من يطالع قصائد عمر أبي ريشة لا يمكنه أن ينكر أن قصائده تزخر بالجمال و الخيال كما هي مفعمة بدقة الحس و قوة الخيال وقد أنصف الدكتور جميل صليبا في هذا الخصوص عندما قال:

" فقد أوتي صاحبنا (أي عمر أبو ريشة) من قوة الخيال و براعة التصوير ما جعله يبدل المرئيات و يقلبها إلى صور رمزية يفوح منها شذا الحب و الحنين فكأنما الطبيعة عنده مسرح صور متحركة أو رمز سحري لرؤي أحلامه العذبة فهو لا يرى في الأشياء إلا نفسه ولا يجد في حياة الأكوان إلا ما يجده في نفسه من الفرح و الحزن والرغبة والأمل والقلق والشك والبأس لقد عرف نضارة الحياة و ذاق حلاوتها و مرارتها ولكن بشفتيه لا بشفتي غيره و أدرك مصير البشرية وعرف بؤسها و شقاءها ولكن بشعوره و عاطفته لا بعقله ، الطبيعة بأسرها رمز لما يشعر به وهي صورة محسوسة للتعبير عما في نفسه من الآمال و الأحلام".[35]

---

(34) الأدب العربي المعاصر في سورية للدكتور سامي الكيالي، ص 168

(35) نقلا عن المرجع السابق، ص 168

الباب الرابع

الفصل الأول:

التعريف بالقومية العربية و أسسها

الفصل الثاني:

الاتجاه القومي و الوطني في شاعرية عمر أبي ريشة

الفصل الأول

التعريف بالقومية العربية و أسسها

القوم في المعاجم اللغوية يعني الجماعة من الرجال و النساء جميعا وقوم الرجل يعني شيعته و عشيرته[1] والقومية مصدر صناعي من القوم.

أما في الاصطلاح الحديث فإن كلمة قوم تعني ما تعنيه كلمة Nationalism في الإنجليزية من الدلالة على شعور الفرد بأقصى الولاء لوطنه.[2]

وقد شاع في العصر الحديث استعمال القوم والأمة بمعنى واحد هو ما نطلق عليه الآن كلمة (Nation) فصار مفهوم القومية مرتبطا أوثق الارتباط بمفهموم الأمة.

ويقول الدكتور ماهر حسن فهمي:

> " قد أجمع الباحثون في مفهوم القومية علي أنها مجموعة من الخصائص تنطبع في نفوس قوم تجمعهم مؤثرات إقليمية متممة بعضها للبعض الآخر، ووحدة لغوية و تاريخية آمال مشتركة".[3]

و بناءاً على هذا كله نستطيع أن نلاحظ أن الوحدة الجغرافية تجعل الوطن العربي غنيا من الناحية الاقتصادية ، ففيه الغابات و الأنهار

---

(1) لسان العرب لابن منظور (مادة أم)

(2) Britannica Ready Reference Encyclopedia, Vol-7. P.74

(3) القومية العربية و الشعر المعاصر للدكتور ماهر حسن فهمي ، ص 5

والمساحات التي تصلح لمختلف أنواع الزراعات وهو غني بالثروة الحيوانية وفيه الخامات و خصوصا البترول وهذه المصالح الاقتصادية المشتركة كفيلة لإقامة روابط جوهرية بين هذا الوطن.

لا يختلف اثنان في أن اللغة هي أهم الروابط التي تجمع بين الناس و تؤدي إلى تشابه في العقلية وفي المزاج و اللغة وسيلة للتفاهم ، توثق العلاقات الاجتماعية بين الأفراد و تقرب بين مفاهيمهم و إنماط تفكيرهم و تحمل إليهم تراث الأجداد واللغة العربية بما فيها من شعر وقصص وأمثال وحكم أثرت في تفكير العرب وفي أذواقهم وهم يتشابهون في نظرتهم إلى العمل الإنساني وحماية الجار وما إلى ذلك من العادات و القيم الاجتماعية واللغة العربية فضلا عن كونها أقوى الدعائم القومية عند العرب فهي أيضا أقوى عناصر الثقافة العربية وكذلك وحدة التاريخ تولد تقاربا في العواطف و النزعات و في الذكريات ولذلك تذكر التاريخ ضروري للشعور القومي.

ولا شك في أن هذا التاريخ المشترك هو الذي جمع العرب في كفاحهم ضد الاستعمار و ألف بين قلوبهم و أثر ذلك واضح في أشعارهم و فنونهم بوجه عام فوحّد آمالهم في الحرية وفي التخلص من كل سيطرة أجنبية .

إنّ مبدأ القوميات لم يظهر في أوربا بصورة فعالة إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان الملوك قبل ذلك هم مصدر السلطات جميعها ولما قامت الفكرة التي تنادي أن الشعوب هي مصدر السلطات

فكان من الطبيعي أن يبدأ التفكير في مفهوم الشعب و حدوده ثم قامت الدولة الألمانية والدولة الإيطالية على أساس المفهوم الجديد لمبدأ القوميات و تكونت كل منهما من ولايات عديدة على أساس الوحدة الجغرافية ووحدة اللغة والتاريخ و المصالح والآمال المشتركة.[4]

كانت الدول العربية في ذلك الوقت تحت حكم السلاطين العثمانيين في تركيا و كان العرب المسلمون يعتبرون الدولة العثمانية دولتهم ، فقد كانوا يدعون للخدمة العسكرية و يشتركون في حروب الدولة ويسهمون في انتصاراتها وكانوا يحترمون السلطان العثماني احتراما دينيا – بصفته خليفة المسلمين– أما المسيحيون فكانوا يعتبرون أنفسهم "ذميين" ليس لهم ما للمسلمين من حقوق، ولذلك كانوا يعتبرون الدولة العثمانية غريبة عنهم ومتسلطة عليهم وجدير بالذكر أن نسبة التعليم بينهم كانت كبيرة ومدارس الدولة التي يقبل عليها المسلمون العرب تفرض اللغة التركية كلغة للتعليم ولذلك نرى أن الأدب العربي وكذلك فكرة القومية العربية نشأت عند العرب المسيحيين قبل أن تظهر عند المسلمين فهم أثاروا العواطف القومية في قلوب الغرب ضد الأتراك و الخلافة العثمانية فأخذ العرب يفكرون في حقوقهم المزعومة وقام فيهم زعماء وفقوا ضد الحكم الحميدي ورسموا ببشاعة صوره و وصفوا لقومهم ما كان من الاستبداد المفروض و قتل الحريات المزعومة و فساد النظام فهب صيحات من كل إقليم عربي في

---

(4) القومية العربية و الشعر المعاصر للدكتور ماهر حسن فهمي ، ص9-10

الدولة العثمانية تطالب بالحرية و إصلاح الحكم فقام الشعب العربي بإيعاز من المسيحيين بمحاولة النهوض لإزالة الحكم العثماني و بدأت سلسلة من الحركات الاستقلالية و منذ شعر العرب بحكم الأتراك وبدأت سلسلة من الحركات الاستقلالية و منذ شعر العرب بحكم الأتراك الثقيل، بدأ الشعر العربي بالتغني بالعربية و العروبة وانطلق الشعر في تمجيد الحرية وترددت أصداؤه في القطر العربي.

> " إن العمل التخميري الكبير لفكرة القومية العربية قد ظهر بداية في كتابين أولهما "أم القرى" للكاتب العربي عبد الرحمن الكواكبي وقد طبع هذا الكتاب عام 1898م ثم أعقبه كتاب آخر باسم "يقظة الأمة العربية" لنجيب عازوري الكاتب المسيحي عام 1905م " [5]

يبين الكتاب الأخير أن فكرة القومية العربية ظهرت عند المسيحيين والمسلمين كليهما لأنهم كانوا يعتقدون أن انتشار فكرة القومية العربية سوف يخلص الوطن العربي من الحكم العثماني الإسلامي ولعب الشعر العربي دوره وأثار النفوس حتى أذكوا روح الطغيان في الجيش التركي الذي عزل الحاكم العثماني عبد الحميد عام 1909م وأخذ الشعراء العرب يعبرون عن سخطهم و غضبهم و شماتتهم في الخليفة المخلوع واعتبروا نهاية السلطان فجر القومية العربية وازداد النفور العنصري بين العرب و الأتراك و أصبحت هذه الحقيقة واضحة وظاهرة .

---

(5) حركة البعث في الشعر العربي الحديث للدكتور ماهر فهمي ، ص 26

ومن الملاحظ أن الحكم العثماني في العالم العربي لقد استمر أربعة قرون منذ أوائل القرن السادس عشر(1516م) إلى انهيار الخلافة العثمانية و ذلك بالضبط في الحرب العالمية الأولى. و لما قامت الحرب العالمية الأولى عام 1914م حالف الأتراك الألمان ضد الحلفاء.

ويقول الدكتور ماهر فهمي:

"كانت الخطة الحربية التي وضعها الأتراك بالاتفاق مع الألمان تعود بالأضرار البالغة على البلاد العربية،فقد أرسلوا الجنود العراقيين إلى قافقاسيا في شمال شرق الأناضول و العراق بلاد شديدة الحرارة و قافقاسيا شديدة البرودة ولهذا السبب مات معظمهم متعرضا للبرد القارس قبل أن يدخلوا ميدان القتال وهذا الأمر قد أثار الشكوك عند العرب في نية الأتراك لأنه ليس من المعقول أن يفوت ذلك واضعي الخطة". [6]

و أدى ذلك إلى إزالة الثقة من نفوس العرب إزالة تامة.

ففي سورية توالت ثورات عديدة مثل ثورة الشيخ صالح العلي و ثورة ابراهيم هنانو الذي كان قد شكل عصابة مقاومة عندما احتل الفرنسيون أنطاكية 1919م وبعد معركة ميسلون و احتلال سوريا عام 1920م وسّع نطاق ثورته واتخذ من جبل الزاوية قاعدة له بعد عدة نجاحات و انتصارات

---

(6) حركة البعث في الشعر العربي الحديث، للدكتور ماهر فهمي ص 31-32

ضد الفرنسيين و كانت هذه كلها مقدمات لثورة 1925م الكبرى التي قادها زعيم وطني سوري شيخ الجبل سلطان باشا الأطرش في جبل الدروز.[7]

و من الجدير بالملاحظة هنا أن سورية ما نهضت من ولاية الأتراك إلا لتسقط في براثن الفرنسيين و تشرب من سخف جديد لأن الجنود الفرنسية قد احتلت الساحل السوري في تشرين أول 1918م ثم تقدمت القوات الفرنسية بقيادة "غورو" نحو دمشق و المناطق الداخلية و التقت في صباح 24 تموز1920م في هضاب ميسلون الواقعة على بعد 25 كيلومترا من دمشق إلى جهة الغرب بعد أن سرحت جيوشها نزولا على إنذار فرنسا.[8]

ودخل الفرنسيون دمشق ومرت بسوريا فترة يأس عقب معركة ميسلون و داست أقدام الفرنسيين ثرى الوطن واستهانت بكل مقدساته وطال أمد الاحتلال والأمة السورية تئن مثقلة به و تشكو و تذكر تاريخها ثم تذكر ما انتهت إليه من هذا الانهيار ومن هذا الاحتلال الذي أحال حياتها ظلمات من اليأس و الهوان حتى صاح خير الدين الزركلي يصور هجوم الفرنسيين:

الطائرات محومات حولها والزاحفات صراعهن شديد
ولقد شهدت جموعها وثابة لو كان يدفع بالصدور حديد

و يستمرفي قصيدته هذه قائلا:

---

(7) http://www.damascus-online.com/Arabic/se-a/se.htm

(8) الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والحرية و التجمع للأستاذ أنور الجندي ، ص324- 325

شر البلية والبلايا جمة أن يستبيح حمى الكرام عبيد [9]

و لكن الأمة السورية استفاقت في ثورة سنة 1925م عندما ثارت سورية على الحكم الفرنسي ثورتها الباسلة التي بدأت من جبل الدروز و امتدت إلى مناطق دمشق و حماة و جبل القمون والتي استمرت سنتين و هدمت خلالها قرى كثيرة وضرب الفرنسيون دمشق بمدافعهم مرتين أولاهما كانت في مايو 1925م والثانية في أكتوبر 1926م حينما حدث ذلك التهبت مشاعر العرب وكان ذلك مصدر إلهام للشعراء و الكتاب العرب ولذلك نرى أن الشعراء مجدوا بطولات المجاهدين والشهداء وبكوا دمشق ورثوا شهداءها.

وكانت هذه الأحداث التي مرت بالبلاد العربية كافية لتغذية الشعر القومي والوطني و ظل الكتاب والشعراء يكافحون المستعمرين بسهام مقالاتهم و خطبهم وأشعارهم يصوبونها إلى نحورهم وأنشد الشعراء كثيرا من الأناشيد للحرية يستثيرون بها همم مواطنيهم حتى ولى المستعمرون هاربين خاسئين .

يقول الدكتور جميل صليبا في هذا الخصوص:

" تتجلى هذه الروح القومية في الأدب الحديث بحلل مختلفة منها الاعتزاز بالماضي وذكر مآثر العرب وأمجادهم في سبيل إيقاظ الشعور القومي ، والحث على

---

(9) كما هو مذكور في "الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان ،ص 28

النهضة في سبيل مجارات الأمم الراقية ومنها المطالبة بحقوق العرب المهضومة في زمن العثمانيين ووصف ظلم الترك و عبثهم بحقوق العرب ومنها البكاء على الشهداء والبكاء على الملك الضائع والبكاء على فلسطين ومنها الدعوة إلى الثورة والمطالبة بالاستقلال والدعوة إلى تأسيس ملك عربي ومنها الشكوى من انقسام بلاد العرب والدعوة إلى الوحدة العربية ".[10]

(10) الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام للدكتور جميل صليبا، ص 89

الفصل الثاني

الاتجاه القومي و الوطني في شاعرية عمر أبي ريشة

إن الأحداث التي وقعت بسورية و الأحرى بنا أن نقول الشام والتي سبق ذكرها في الفصل السابق كانت كافية لتترك أثرها العميق في نفوس الشعراء والأدباء وكافية لتغذية الشعر القومي و الوطني.

وفي هذه الحقبة من الزمن مرت سورية بثلاث مراحل

1- مرحلة مقاومة الحكم الحميدي و الخلافة العثمانية

2- مرحلة مقاومة الاستعمار الغربي

3- مرحلة جلاء المستعمرين الغرب و الدعوة إلى التوحيد والتجمع و مقاومة التجزئة

و بما أن الشعر وليد أحداث الحياة فلذلك لا نجد ديوان شاعر سوري معاصر يخلو من وصف الظلم المزعوم الذي صبّه الأتراك على العرب ومن السعي إلى الحرية والعكوف على العربية و التمسك بالعروبة ومن هنا التيار الجارف في تمجيد القومية العربية أقوى التيارات في الشعر العربي المعاصر لسورية كما كان أقوى ما امتاز به شعراء سورية هو المناداة بالقومية العربية ولعل الدكتور ساطع الحصري صدق حينما قال:

"إن سورية أعرق الأقطار العربية في الشعور بالقومية العربية و أكثرها تجردا عن النزعات الإقليمية و

أشدها توقا إلى الوحدة العربية"[1].

كان عمر أبو ريشة قد شب وترعرع و سورية في نضال دام مع الفرنسيين فناضل عمر كما ناضل غيره من شعراء عصره من سورية ولقي كثيرا من الظلم والاضطهاد فانعكس ذلك في شعره صورا ومشاهد وألواحا فاتجه بشعره الوطني إلى تصوير كفاح الأمة وكفاح الشعب السوري بصورة خاصة وكان له في جميع مناسبة قومية قصيدة لفتت إليه الأنظار و يرى أبطال العرب من المعاصرين يقضون واحدا بعد واحد و أصبح لا يرى في الركب قومه و أمضه الاستعمار وأحزن باله وكان قلب عمر يخفق للعرب و أجداده ولذلك يتأسى لأحزانهم وكان يناضل بلسانه في كل خلجة من خلجات الوطنية.

والوطنية عنده تضم اللغة العربية و تضم التاريخ و تضم الحاضر وكفاحه ضد كل مستعمر فوقف لكل كارثة وأخذ يتغنى بالشعراء و الأدباء لأنهم تراث الوطن.

وافتخر عمر أبو ريشة كغيره من الشعراء المسلمين بماضي العرب المجيد و أشاد بعظمائهم و أبطالهم اللذين ملكوا هذه الدنيا و أخضعوها قرونا و باح بتراثهم وقصد إلى تعبئة الأمة العربية للنضال و تحريرها من أغلال الاستعمار والتأسي للأجداد الذين سادوا العالم وكانوا المثل العالية في القوة والبطولة و الحضارة و العلوم و مكارم الأخلاق .

---

(1) الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام للدكتور جميل صليبا، ص 84-85

ونجد عند عمر أبي ريشة شعراً يفيض قوة و حماسة وحنانا و يظهر فيه إيمانه العميق في الحق و العدل و يكره عمر أبو ريشة المغتصب ويرفض الظلم فهو يقول :

لا يموت الحق مهما لطمت عارضيه قبضة المغتصب [2]

ولم يكتف عمر أبو ريشة بالقصائد المليئة بالعواطف السياسية والاجتماعية فحسب بل عمد أيضا إلى أشهر الحوادث والرجال من تاريخ العرب وعلى سبيل المثال نجد أنه مجد بطولة خالد بن الوليد في قصيدته الطويلة جدا بإسم "خالد" واعتبره فيها أهزوجة النصر و أنشودة الجهاد و كما تصور فيها أن خالد بن الوليد يفتح البلدان واحدا تلو الآخر و يزيل العراقيل والعقبات في طريق التوحيد قائدا زملاءه البواسل الذين دكوا معاقل الروم و الفرس في سبيل إعلاء كلمة الله في دول باطلة ويفتتح عمر أبو ريشة هذه القصيدة قائلا:

لا تنامي يا روايات الزمان فهو لولاك موجة من دخان
تتوالى عصوره و بها منك ظلال طرية الألوان

ثم يقول ماضيا في هذه القصيدة:

أعلمتم من الفتى المتثني بوشاح البطولة الأرجواني
إنه ابن الوليد زغردة النصر و أنشودة الجهاد الباني
مرّ في ناظري طيفا بعيدا عبقري النضال ثبت الجنان

(2) نقلا عن كتاب"الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام" للدكتور جميل صليبا،ص 125

و كأني أراه يضرب شرق الأرض بالغرب ، مشرق الإيمان
و أرى كبرياءه دمعة التفكير مسفرحة على القرآن
صدق العهد، فالفتوح توالى وصدى خالد بكل مكان [3]

وكذلك له قصيدة جميلة رائعة طويلة في ذكر أبي العلاء المعري وقد سماها "مع المعري" وافتتحها بقوله:

ملعب الدهر لو ملكنا هدانا لبلغنا من الحياة منانا [4]

وله قصائد طوال في ذكر أبي الطيب المتنبي وإبراهيم هنانو وسعيد العاص وغيرهم.

واشترك عمر أبو ريشة في الحركة الوطنية في سوريا أيام الاحتلال الفرنسي وسجن عدة مرات وثار على الاضطهاد الفرنسي كما ثار على الأوضاع في سوريا بعد حصولها على الاستقلال وكان يؤمن بوحدة الوطن العربي كله ولذلك كان ينفعل بأحداث الأمة العربية و خير دليل على هذا القول قصيدته "بعد النكبة" نقدم منها بعض الأبيات فيما يلي:

أمتي، هل لك بين الامم منبر للسيف أو للقلم
اتلقاك وطرفي مطرق خجلا من أمسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثا ببقايا كبرياء الألم!
أين دنياك التي أوحت إلى وتري كل يتيم النغم
كم تخطيت على اصدائه ملعب العز ومغنى الشمم

---

(3) ديوان عمر أبو ريشة، المجلد الأول، ص 544،537-545

(4) نفس المصدر، ص 466

و تهاديت كأني ساحب منزري فوق جباه الانجم [5]

ومن هذا النوع قصيدته الطويلة المعنونة بـ " بلادي" ومنها ننقل بعض الأبيات فيما يلي:

هيكل الخلد لاعدتك العوادي أنت إرث الامجاد للأمجاد
بوركت في هواك كل صلاة صعدتها حناجر العبّاد
منك هبت سمر الرجال وأدمت حاجب الشمس بالقنا المياد
هتفت بالجهاد حتى تشظى كل تاج على صخور الجهاد

ويقول في نهاية هذه القصيدة:

كلما أطلقت حمامة سلم جاذبتها حبائل الصياد
إنها سنة الوجود،فشعب لبقاء ، و آخر لنفاد
فعلى الحادثات أن تتوالى وعلينا الوقوف بالمرصاد [6]

ولا مرية في أن عمر أبو ريشة هو شاعر القومية العربية و شاعر الوطنية وشاعريته لا تقتصر على بلده سورية فحسب بل يشتمل كل قطر عربي هو يعتبر كل قطر عربي وطنه ولذلك يتغني به فهو يؤمن بأن العروبة وحدة لا تتجزأ و من هنا نلاحظ أنه ما نسي قط فلسطين المنكوبة وقد ذكرها مرارا في قصائده نود أن نقدم هنا على سبيل المثال بعض الأبيات من قصيدته المعنونة بإسم "هذه أمتي" والتي يقول فيها:

---

(5) مختارات لعمر أبي ريشة، ص 110-111

(6) نفس المصدر، ص 256-257 ، 267

وسلوا القدس هل غفا الشرق عنها

أو طوى دونها شبا مرانه؟

أهتاف خلف البحار بصهيون

و حدب على بناء كيانه؟

ومن الهاتف الملح؟ أحر؟

أين صدق الأحرار من بهتانه؟

أين ميثاقه؟ أتنحسر الرحمة

في دفتيه عن عدوانه؟

يا لذلّ العهود في فم من

أجرى على عزها دما فرسانه

أي فلسطين يا ابتسامة عيسى

لجراح الأذى على جثمانه

يا تثني البراق في ليلة

الإسراء، والوحي ممسك بعنانه

لا تنامي خضيبة الحلم خوفا

من غريب الحمى ومن أعوانه

إن للبيت ربه ... فديه

رب حاو رداه في ثعبانه [7]

وكانت كارثة فلسطين عميقة الأثرفي نفسه فكان يتذكر في كل مناسبة أرض "فلسطين" التي قد احتلها اليهود بالمكر والخداع وهم الآن يعيشون

---

(7) ديوان عمر أبو ريشة ، المجلد الأول،ص 526-528

فيها ويصبون المظالم على أهلها العرب المسلمين فهو يثير حماسة المسلمين لإنقاذها ويقول فيها عمرأبو ريشة :

والقدس ما للقدس يخترق الدّما وشراعه الأثام والأوزار
أي العصور هوى عليه وليس في جنبيه من أنيابه آثار
عهد الصليبيين لم يبرح له في مسمع الدنيا صدي دوّار
صف الملوك فما استباح إباؤهم شرف القتال ولا أهين جوار
ناموا على الحلم الأبى فنقرت منه الطيوف بنوّة فُجّار
صلبوا على جشع الحياة وفاءهم ومشوا على أخشابه وأغاروا
وبكل كف غضة سكينة وبكل عرق نابض مسمار
مدوا الأكف إلى شرائم أمة ضجت بنتن جسومها الأمصار
ورموا بها البلد الحرام كما رمت بالجيفة الشط الحرام بحارز [8]

وقد وفق أبو ريشة في عرض هذه الأفكار عرضا تصويريا بديعا.

يقول الدكتورشوقي ضيف في هذا الخصوص:"إن عمر أبا ريشة ليس من الشعراء الذين ينطوون على أنفسهم و أحلامهم وما يصهرها من أزمات، بل هو ممن يندمجون في محيطهم و أممهم ، يحملون تاريخها و آمالها وكل ما تسعى إليه من خير ومجد في صدورهم و لا يلبثون أن يذيعوه في شكل تعاويذ، لأنهم يريدون أن يرقوا بها أمتهم فصور أبي ريشة هي صور حية معبرة لها دلالة و فحوى ، وأسمعه يقول:

أنا من أمة أفاقت على العزّ و أغفت مغموسة في الهوان

---

(8) ديوان عمر أبو ريشة ، المجلد الأول،ص 557-559

عرشها الرث من جراد المغيرين وأعلامها من الأكفان [9]

إن عمر أبا ريشة يعبر في هذين البيتين عن بؤس بلاده في أثناء الاحتلال الفرنسي و يصور هذا البؤس في ثورة بشعة تستفز النفوس، وتدفعها إلى العمل على الخلاص من نير هذا الأجنبي.[10]

وظل الشاعر يقوم برسالة الشعر الصحيح في إثارة القوة و النضال وإلتماس الحرية لم يفق ولم يسكت و استجاب الله لثورة الشعب العربي في سورية وقد تحقق لوطنه ما أمله عمر أبو ريشة وحلم به وذهب الاستعمار إلى غير رجعة فوقف عمر بحلب فرحا بجلاء الغاصب في عام 1947م و قال قصيدة عنوانها"عرس المجد":

يا عروس المجد،تيهي واسحبي في مغانينا ذيول الشهب
لن ترى حفنة رمل فوقها لم تعطّر بدما حرّ أبي
درج البغي عليها حقبة وهوى دون بلوغ الأرب
وارتمي كبر الليالي دونها لين النّاب، كليل المخلب
لا يموت الحق، مهما لطمت عارضيه، قبضة المغتصب! [11]

وقد ألقي عمر أبو ريشة هذه القصيدة في الحفلة التذكارية التي أقيمت في حلب ابتهاجا بجلاء الفرنسيين عن سوريا .

---

(9) Modern Arabic Literature by Prof Ismat Mahdi, P-184

(10) دراسات في الشعر العربي المعاصر الدكتور شوقي ضيف، الطبعة السابعة، ص 235،

(11) مختارات لعمر أبي ريشة،ص120م

ولما استقل بلاد الشام راح عمر أبو ريشة يثيرحماسة مواطنيه لإنقاذ فلسطين ثم أخذ يدعو لجمع الشمل والوحدة العربية الكبرى في أسلوب جميل وفي هذا السياق نلاحظ أنه دائما يتذكرأرض القدس فلا ينساها وقد أتى بذكرها في بعض قصائده فمثلا هو يقول في إحدى قصائده:

ما لأبناء السبايا ركبوا للأماني البيض أشهى مركب
ومتى هزوا علينا راية ما انطوت بين رخيص السلب
يا روابي القدس يا مجلى السنا يا رؤى عيسى على جفن النبي [12]

وكذلك كان عمر أبو ريشة يستعيد ذكرى الزعماء في الأدب والتاريخ والسياسة بصور شامخة تدفع الجيل إلى أن يفيد من دروس الأبطال في القديم و الحديث فعرض للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وصور خالد إبن الوليد وكذلك رسم المتنبي والمعري في الشعر وعرض للغزوات و الوقائع و يعجب بالعظمة و القوة و يحب الفتح و النصر بالسيف والقلم جميعا كما هومعجب بالأبطال و النوابغ وخاصة بالبطل الأعظم النبي محمد هنا نعرض منظرا من ملحمته "محمد" صلى الله عليه وسلم التي يتحدث فيها عن "وقعة بدر"ومكانتها في الإسلام وعند المسلمين فهويقول فيها:

وقف الحق وقفة عند بدر شحذت في الغيوب سيف القضاء
ووراء التلال ركب أبى سفـ يان يحمي سرية الفيحاء
وقريش في جيشها اللجب تسعى بين وهج القنا و زهو الحداء
بلغت منحنى القليب ولقت من عليه ببسمة استهزاء

---

(12) نقلا عن "الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان ،ص 353

وأرادت أكفاءها فتلقا ها علي ذؤابة الأكفاء
جزّ بالسيف عنق شيبة وارتـ دّ إلى صحبه خضيب الرداء
فطغى الهول والتقى الند بالنـ دّ وماجا في لجة هوجاء
وعيون النبي شاخصة تر قص في هدبها طيوف الرجاء
ودنت منه عصبة الإثم والمو ت على راحها ذبيح عياء
فرماها بحفنة من رمال و رنا ثائر المنى للعلاء
ودعا: "شاهت الوجوه" فيا أر ض اقشعرّى على اختلاج الدعاء
قُضى الأمر يا قريش فسيري للحمى واندبي على الأشلاء
واحذري الطيب لن يمس غلاما في نديّ أو غادة في خباء
يوم بدر يوم أغرّ على الأيـ ام باق إن شئت أو لم تشائى
ركز الله فيه أسمى لواء و جثا الخلد تحت ذاك اللواء [13]

وكذلك يغني بطولة "إبراهيم هنانو" قائلا:

هنانو، أى صاعقة أقضّت على صرح من العليا مشيد
هنانو، أي سيف أغمدته يد الأقدار في غمد اللحود [14]

ويمدح الشهيد البطل "سعيد العاص" الذي استشهد في جبل النار في فلسطين ويقول :

نام في غيب الزمان الماحي
جبل المجد و الندى والسماح

---

(13) ديوان عمر أبو ريشة ، المجلد الأول، ص 508-511

(14) نقلا عن "الشعراء الأعلام في سورية" للدكتور سامي الدهان،ص 348

وفي نفس القصيدة يقول:

وكأني أراك في رحمة الهول
على سرج ضامر طوّاح
واقتحمت اللظى فكنت مع الصيد
فراشا على فم المصباح !

و يستطرد قائلا:

إي فتى المجد، إنه العمر، يوم
لخسار، و آخر لرباح !
إن من سامك المنون لقوم
لم يحيّوا على الحجى و الفلاح
أنت للعرب كالمنارة في الساحل
لاحت لأعين الملاح ! [15]

وقد أعجب عمر أبو ريشة إعجابا شديدا بشاعر العرب أبي الطيب المتنبي وتأثر بعلو همته وطموحه و شجاعته ففي وصفه و مدحه له قصيدة طويلة جدا وقد سماها "شاعر و شاعر" و رسم له في مطلع شبابه صورا لا تنسى نقدم فيما يلي بعض الأبيات من هذه القصيدة:

غمر العرب سحره الفاتن البكر و ناداهم بخير نداء!
فيه من غضبة الأباء على الضيم و فيه من بسمة العلياء
يحبس الدمع التي سكبتها في سخاء محاجر البؤساء

---

(15) ديوان عمر أبو ريشة ، المجلد الأول، ص 561

صقلته أنامل المتنبي" فإذا الشعر مستفز الأداء
حضنته العلياء طفلا و كهلا وغذته بأكرم الأثداء

ويقول في القصيدة نفسها:

شاعر العرب ، غضّ طرفك فالعرب حيارى في قبضة عسراء!
يخجل المجد أن يرى الليث تحت أنياب حية رقطاء!
أن ملك في ظله ترفض النعمى و تشدو شبابة العلياء
أين لمع المنى و حمحمة الخيل و وهج القنا و خفق اللواء [16]

هكذا رسم عمر أبو ريشة صورة للمتنبي لكن لا يخفى على أهل الذكاء أنها صورة للشاعر نفسه فعرفنا فيه اللون الذي يحب عمر أبو ريشة من الشعر و الشاعر و كأن عمر أبو ريشة يقول إنه مثل المتنبي بحيث انه هو الآخر ليس من النوع الذي يستسلم للظروف القاسية وليس هو الذي يقبل الخضوع أمام المغتصبين الغرب فلا يزال يناضل باستمرار في سبيل الحرية و الاستقلال.

وله قصائد في مدح أمير الشعراء أحمد شوقي و شاعر النيل حافظ إبراهيم وغيرهما.

تتصف شاعرية عمر أبو ريشة بصحة الفكر و الشعور الصادق والخيال الجامح والجمال في الأداء ولا شك في أن عمر أبو ريشة كان أكثر اهتماما بالأفكار و كان أقل اعتناء بتركيب الكلمات وكان لعمر أبو ريشة

---

(16) ديوان عمر أبو ريشة ، المجلد الأول، ص 592،587-593

رسالة تدفِعه إلى السمو بالإنسانية إلى أرفع مكان تستاهله بحيث لا يكون لها من هدف إلا الحرية والعدل وتأمين الخائف و إطعام الساغب و رد ظلامة المظلوم وذلك لأنه كان يرى أن الشاعر ليست وظيفته مقصورة على أن يكون مرتلا بين المرتلين بل عليه أن يكون بين زعماء الفكر و رسل الوجدان و دعاة الإصلاح لجيلهم و للأجيال الآتية.

الخاتمة

الخاتمة

لا ريب في أن عمر أبو ريشة كان من أبرز الشعراء الرومانسيين في الأدب العربي السوري الحديث وكان أحلاهم نغما فكان يملك قدرة فائقة على صورة وصفية فريدة كما كان يستطيع أن يأخدنا إلى رومانسية معسولة و كان يجعلنا نعيش الحدث الذي كان يعيشه هو و قصائدة العذبة التي تتغلغل إلى سويداء قلوبنا من خلال إطلاق الذائقة القرائية التي هي الأجدر بالقراءات والامعانات.

لقد كان عمر أبو ريشة يمتاز كثيرا في الوصف من خلال قصائده العاطفية التي فيها روعة النسج الشعري المتفرد وهو يغرق كثيرا في الغزل بانتقاء مفرداته و استخراج المعاني الجزلة التي تقدم لنا قصيدة متشابكة الأحزاء تأخذنا إلى عالم متكامل من البناء التصويري.

وفي الحقيقة أراد عمر أبو ريشة بقصائدة الغزلية أن يصل أولا إلى المتلقي و ثانيا أراد أن يوصل إليه معاناته العاطفية و ما بداخله من الآهات التي هي جعلته يقول تلك القصائد الغارقة في الغرام بما تحويه من عمق في المعاني إضافة إلى سلاسة الأسلوب وكذلك يريد أن يغرقنا معه في صياغة فنية و تصوير رائع ووصف جميل.

ولم يشتهر عمر أبو ريشة بأعماله الرومانسية فقط بل أيضا بأعماله القومية و الوطنية الجريئة ومن هنا نلاحظ أنه كان يناضل بلسانه في كل خلجة من الخلجات الوطنية لأنه في عنفوان شبابه وجد بلاده سورية في

نضال دائم مع الفرنسيين فناضل كغيره من شعراء عصره من سورية ولقي كثيرا من المتاعب و المظالم فانعكست هذه كلها في شعره صورا و مشاهد و ألواحا واتجه هو بشعره الوطني إلى تصوير كفاح الأمة الإسلامية وكفاح الشعب السوري فله قصائد قومية ووطنية و الوطنية عنده كانت تتضمن أبعاداً عديدة و معاني واسعة فكانت تضم اللغة العربية و تضم التاريخ و تضم الحاضر و كفاحه ضد كل مستعمر وقصد عمر أبو ريشة بأبياته الى تعبئة الأمة العربية للنضال و تحريرها من براثن الاستعمار الغاشم والتأسي بالأجداد الذين سادوا العالم فكانوا المثل العالية في القوة و البطولة و الحضارة و العلوم و مكارم الأخلاق ولإبراز هذه الحقيقة عمد عمر أبو ريشة إلي أشهر الحوادث و الرجال من تاريخ الإسلام و المسلمين.

ولم ينصرف عمر أبو ريشة قط عن مهمته القدسية في تكريم الأبطال و في رسم الطريق لأمته وفي التغني بأمجادها وظل يقوم برسالة الشعر الصحيح في إثارة القوة والنضال وإلتماس الحرية واستجاب الله لثورة الشعب العربي في سورية وقد تحقق لوطنه ما أمله و حلم به و ذهب الاستعمار إلى غير رجعة.

المراجع والمصادر

المصادر و المراجع

الكتب العربية

1.**الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث:** للأستاذ عمر دقاق، مكتبة الشرق بحلب، الطبعة الثانية 1963

2.**الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والحرية و التجمع:** للأستاذ أنور الجندي ،مطبعة الرسالة،2 شارع حمود ة المقاول-عابدين

3.**الأدب العربي المعاصر في سورية:** للأستاذ سامي الكيالي ،دار المعارف بمصر، شارع ماسيرو-القاهرة

4.**الإسلام و الشعر:** للأستاذ يحى الجبوري ، مكتبة النهضة بغداد، سنة الطبع 1964م

5.**أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث:** للأستاذ محمد يوسف كوكن، المجلد الثالث ، دار حافظ للطباعة و النشر

6.**تاريخ ا لشعر العربي الحديث:** للأستاذ أحمد قبش، دار الجيل، بيروت،لبنان

7.**تحية الهند:** للأستاذ محمد سعيد الطريحي،

8.**دراسات في الشعر العربي المعاصر:** للدكتورشوقي ضيف،

9.**درس اللغة والأدب في الشعرالعربي الحديث:** للأستاذ محمد محمدي الجزء الثاني،الطبعة الثالثة 1968،بيروت

10.**دمشق لوحة الفسيفساء الساحرة:** للسيدة سادهنا وداينيشةار،

11.**ديوان عمر أبو ريشة:** المجلد الأول، دار العودة، بيروت

12.**الشعراء الأعلام في سورية:** للأستاذ سامي الدهان،دار الأنوار، بيروت، لبنان، طبعة ثانية 1968

13.**الشعرو الشعراء في الأدب العربي الحديث: للدكتور تاج الدين الندوي**

Goodword Books Pvt. Ltd, 1, Nizamuddin west Market, N.D 110013

14.**القومية العربية في الشعر الحديث: للأستاذ محمد أحمد الحوفي،** دار نهضة مصر،القاهرة

15.**المجتمع العربي:** للأستاذ محمود الشرقاوي، المطبعة دار المعارف بمصر

16.**محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام و أثرها في الأدب العربي الحديث:**للأستاذ جميل صليبا، معهد الدراسات العربية العالية،سنة الطبعة 1958

17.**مختارات عمر أبو ريشة:** نشورات،المكتب التجاري للطباعة والتوزيع و النشر،بيروت- لبنان

18.**مذاهب الأدب معالم و إنعكاسات:** للأستاذ ياسين الأيوبي، دار العلم للملايين،الطبعة الثانية1983م

19.**نازك الملائكة:** للدكتورة فرحانة صديقي

Good word Books Pvt.Ltd , 1,Nizamuddin west Market, N.D 110013

الكتب الإنجليزية

1. **An Anthology of Modern Arabic Poetry** by Mounan A. Khouri and Hamid Algar,University of California Press, London

2. **Britannica Ready Reference Encyclopedia**, Vol-7. P.74

3. **Modern Arabic Literature** by Ismat Mahdi, Rahi Publishers, Hyderabad,Edition 1283

4. http://www.damascus-online.com/Arabic/se-a/se.htm

الجرائد و المجلات

1.ثقافة الهند، مجلة تصدرمن دلهي الجديدة، المجلد 49، العدد 1 سنة 1998، ص 107

2. **الرياض** جريدة تصدر من الرياض،اللمملكة العربية السعودية، الأحد 28 مايو2006م ، العدد 13852

3.**الصحوة الإسلامية** مجلة تصدر من دلهي، جمادي الآخرة 1424هـأغسطس 2003م ، العدد:45

4.**صوت الشرق** تصدر من مصر، العدد 418، يوليو- أغسطس

5.**العربي** مجلة شهرية تصدر من الكويت،العدد الرابع عشر، رجب 1379هـ

Umar Abu Risha Wa Shaeriyyatuhu

Dirasah Tahliliyah

(Umar Abu Risha and his Poetry:An Analytical Study)

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University
in partial fulfillment of the requirements
for the award of degree of
Master of Philosophy

by

MASOOD AZHAR

Supervisor

PROF.M.A.ISLAHI

Center of Arabic & African Studies
School of Language, Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi
2006